AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01078 7202

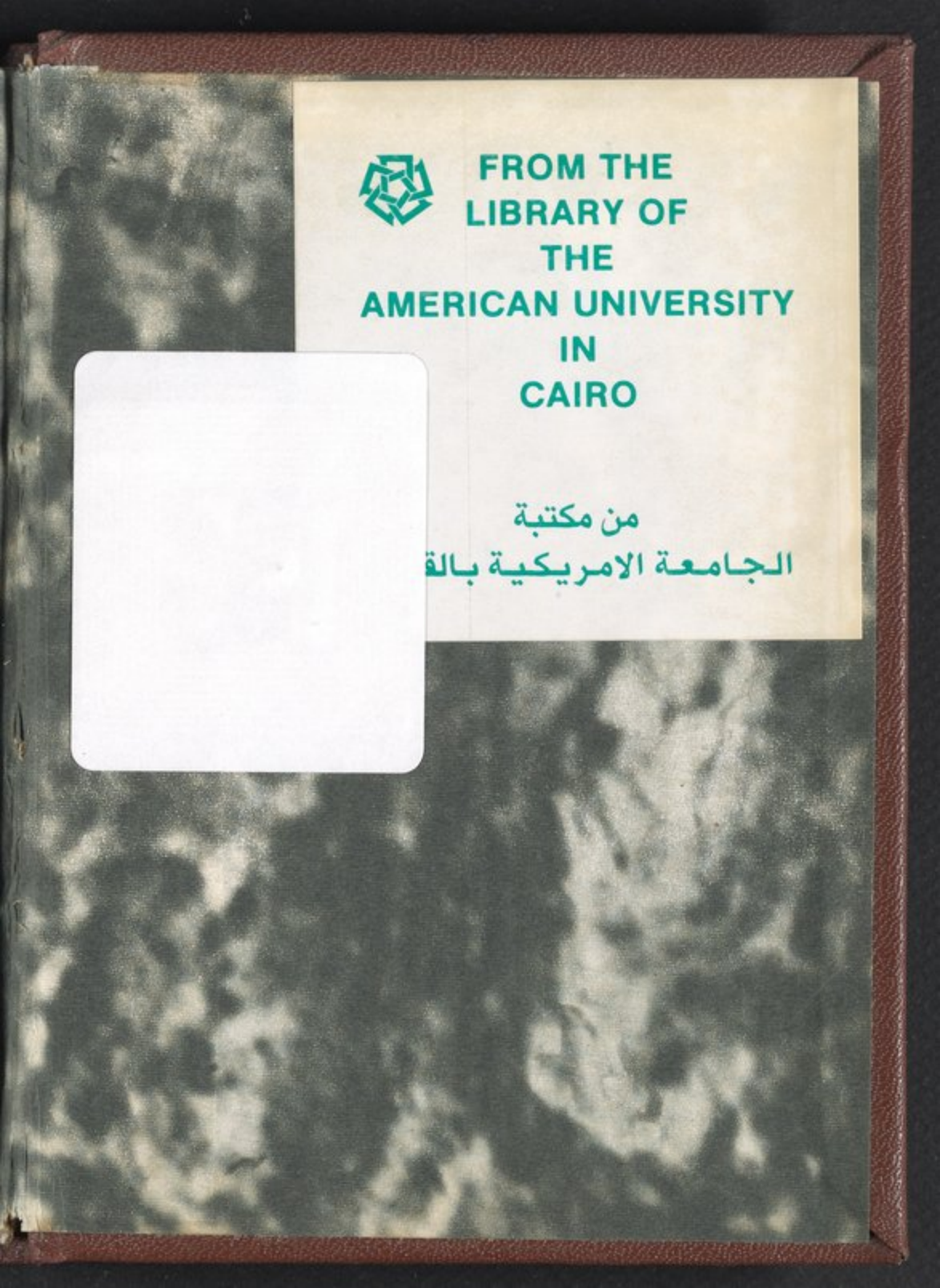
FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالق

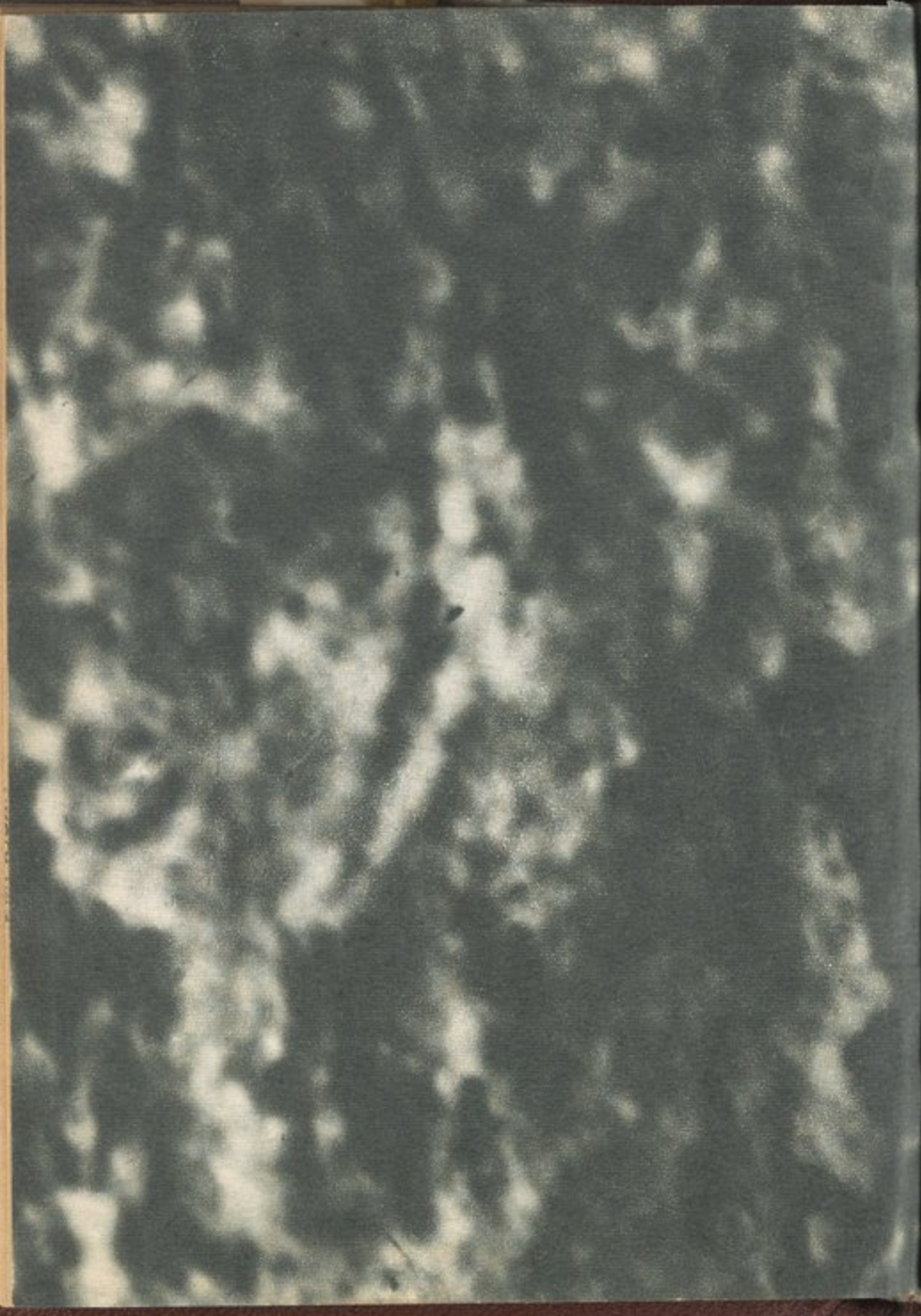

04-B 1911 Port

ML
1705
H3X
1954
Halim, Idward
al-Ubrāt al-ʿālamīyah

الاوبرات العالمية

(١)

ادوار حليم

OCLC
60507198

B13107677
14885384

مجموعة كتب للثقافة الخالدة

الكتاب الأول

المكاتبات : ٣٣ شارع عمر بن الخطاب — مصر الجديدة

محتويات الكتاب

صفحة

تمهيد ٥
مقدمة عن الأوبرا ٧
الأوبرات العالمية :
عايدة ١٥
كارمن ٢٧
فيديليو ٣٩
سالومى ٤٩
أرفيو وايريديس ٥٩
لاتراڤياتا ٦٧
لوتشيا دى لامير مور ٧٥
فاوست ٨٣
الترڤاتورى ٩١
مينون ١٠٣
تايبس ١١٣
توسكا ١٢٣
حلاق أشبيلية ١٣٥
مدام بترفلاى ١٤٥

الغلاف من تصميم

مكتب مسيكه للدعاية

Publicité Messeca

الرسوم الداخلية للفنان

الكسندر سيريبريا كوف

Alexandre Serebriakoff

طبع الكتاب والغلاف

مطابع دار الكتاب العربي بمصر

١٩٥٤

تمهيـــد

كانت الأوبرا فيما مضى من الفنون الارستقراطية . لكنها ليست كذلك اليوم . فقد تولت السينما نقل أهم الأوبرات على شاشتها الفضية ، وقام الراديو بتقديم هـذه الروائع لجمهور المستمعين ، كما نشرت الصحف والمجلات قصص الأوبرات باللغات المختلفة .

وقد تكون أنت من أتيحت لهم فرصـة التعرف على بعض هذه المسرحيات الغنـائية ، سـواء عن طريق المسرح ، أو السينما ، أو الراديو ، أو الصحف . لكنك لم تصادف حتى الآن الكتاب الذى يشرح لك هذا الفن ، ثم يقدم اليك هذه الأوبرات باللغة العربية .

من أجل ذلك أخرجت لك هذا الكتاب . فانت ستجد فيه مقدمة عن فن الأوبرا وتطـوره . فاذا فرغت منهـا قرأت طائفة من أشهر الأوبرات التى طالما سمعت أو قرأت عنها دون أن تتاح لك فرصة التعرف عليها .

وانى أعتزم أن أقدم لك قريبا الجزء الثانى من «الأوبرات العالمية» الذى سيضم مجموعة أخرى من هذه المسرحيات الغنائية التى تعتبر بحق ركنا هاما من أركان الثقافة العالمية .

ادوار حليم

الأوبرا

ليست الأوبرا ـ أو المسرحية الغنائية ـ من الكلمات التى يسهل تعريفها . فمعناها فى الأصل «لون موسيقى من الدراما ، يتألف من ألحان وأشعار وأناشيد ، يتخللها موسيقى ومناظر وتمثيل » . ومن أجل هذا المزيج ناهض فريق من الفنانين الأوبرا بحجة أنها «فن مولد غير خالص » . فهم يقولون انها لم تصل بالتمثيل الى مستوى المسرحية ، ولا بالموسيقى الى مستوى السيمفونية مثلا . أما أنصارها فيتخذون من نفس هذا النقد سببا للاعلاء من شأنها . فهى فى رأيهم مزيج رائع متناسق من الشعر والتمثيل والرقص والغنـاء والموسيقى جميعا .

وهكذا فان نشأة الأوبرا لم تكن تعنى ظهور لون جديد فى سماء الفن ، بل على الأصح كانت تعنى اندماج بضعة عناصر مستقلة فى بعضها البعض . ويرجع تاريخ ذلك الى عام ١٦٠٠ عندما مثلت فى فلورنسا أوبرا «ايريديس» Euridice

للموسيقى «پرى» Peri ، ضمن برامج الاحتفال بزواج الملك هنرى الرابع ملك فرنسا . ولو أن جمهور اليوم هو الذى كان قد شاهدها فى ذلك الوقت لما استساغها على الاطلاق . ذلك انها لم تكن فى حقيقتها أكثر من تلاوة بعض الأشعار ، يقطعها بين حين وآخر نفر من المنشدين ، تصحبهم بعض الآلات الوترية كالقيثارة والطنبور ، ولكنها كانت مع ذلك أول محاولة فى طريق الأوبرا .

ذلك هو السلم الواهى الذى ارتقاه نفر من سادة القوم فى فلورنسا ـ وعلى راسهم الكونت چيوڤانى باردى Giovanni Bardi ليصلوا بذلك اللون من الغناء الى درجة تبلغ مستوى مسرحيات قدماء الاغريق ، ولما لم يكن هناك أى أثر باق للموسيقى التى كانت تتخلل مسرحيات قدماء الاغريق ، كان على الموسيقيين فى ذلك الوقت أن يسلكوا طريقا آخر . فيمموا شطر ألحان الكنيسة التى كانت قد بلغت الذروة فى الاتقان على يد «پالسترينا» Palestrina الذى توفى عام ١٥٩٤ . وفى نفس هذا العام قام أحد أولئك الموسيقيين الفلورنسيين ويدعى «أوراتزيو ڤيكى» Orazio Vecchi بوضع بضعة أناشيد تدور حول موضوع دنيوى ، ويقوم بالغناء فيها على الطريقة الاكليركية مغنون يرتدون زيا خاصا . وكان يمكن أن تعتبر تلك الأناشيد فى مجموعها ـ أو تلك الأوبرا التى أطلق عليها مؤلفها اسم « أمفيبارناسو » Amfiparnasso ـ اول أوبرا فى العالم ، لولا خلوها من عنصر التمثيل .

وكانت الأوبرا طوال القرن السابع عشر تصطبغ بالصبغة الارستقراطية . فكان «كلوديو مونتيڤرى» C. Monteved ـ كما كان «پرى» من قبله ـ يقوم بكتابة أوبرات خاصة للاحتفالات الملكية ، أو أوبرات تاريخية .

وتلاحقت التطورات على الأوبرا فى السنوات التى تلت ذلك. ففى نابولى ـ تلك المدينة التى طالما حبت مغنيها صوتا طبيعيا جميلا ـ قام «السندرو سكارلاتى» Alessandro Scarlatti يؤكد من أهمية الصوت فى الأوبرا ويوليه اهتماما خاصا.

كما شهدت فرنسا علما بارزا من أعلام الأوبرا هو« چان لالى » Jean Lully الذى كان قد رحل الى قصر الملك لويس الرابع عشر فى خدمة احدى الأميرات الفرنسيات. فقد علق هذا المؤلف الموسيقى أهمية كبيرة على مناظر الأوبرا وتناسقها. وقد ساد هذا الاهتمام نتيجة لذلك مسارح الأوبرا فى فرنسا لمدة قرنين كاملين. كما أنه كان أول من أدخل على الأوبرا «الافتتاحية» ـ أو الموسيقى التمهيدية Ouverture. هذا الى أنه أوجد تطورا ظاهرا على فن الباليه.

أما «چان راموه» Jean Rameau فقد اهتم بالهارمونى ـ أى تناسق الأنغام ـ وبقدرة الموسيقى على التعبير. وقد بلغ من اهتمامه الزائد بعنصر الموسيقى، أن فقدت عناصر الأوبرا الأخرى ـ وعلى الأخص عنصر التمثيل ـ العناية الواجبة بها.

وبينما كانت الأوبرا تزدهر فى القصور الملكية فى فرنسا، كان رواد الأوبرا فى ايطاليا يتزايدون فى اطراد مستمر، فما أن أشرف القرن السابع عشر على نهايته، حتى كانت توجد فى مدينة البندقية وحدها احدى عشرة دارا للأوبرا.

الا أن عنصر التمثيل الذى كان يؤكده الفلورنسيون فى بادىء الأمر، لم يلبث أن أحنى رأسه لعنصر جديد طغى عليه وهو عنصر الغناء.

* * *

فقد أتى القرن الثامن عشر وكان كل مايعنى به الموسيقيون الايطاليون هو ابراز صوت المغنى واستغلاله فى التأثير على

جمهور المستمعين . وأصبحت الأوبرا فى ذلك العصر مجرد عرض لمقطوعات غنائية لا تربطها الا وحدة الموضوع . أما وحدة الموسيقى ووحدة الدراما ـ وهما اللتان خلقتا الأوبرا فى الأصل ـ فقد طغى عليهما الاهتمام بالتأثير الصوتى الى حد بعيد .

ولم تقتصر مدرسة الأوبرا فى تلك الفترة على نابولى وحدها وهى المدينة التى نشأت فيها الأوبرا وترعرعت ، وانما كان هناك فى كل عاصمة فى أوربا ، مؤلف موسيقى ايطالى ، أو اى موسيقى درس فى ايطاليا دراسة كافية ليعهد اليه بالاشراف على دار الأوبرا فيها .

وكان «كرستوف جلوك» Christoph Gluck واحدا من أولئك الموسيقيين الذين درسوا فى ايطاليا وكتبوا أوبرات باللغة الايطالية نفسها . وقد استطاع «جلوك» أن يقطع شوطا بعيدا فى سبيل تحرير الأوبرا من رداء التكلف الذى لبسته طوال ذلك الوقت .

* * *

والى جانب الاصلاح الذى بداه «جلوك» ، قامت هناك حركة أخرى فى غرب أوربا . وكان ذلك فى عصر تفتحت فيه أذهان الناس على حقائق جديدة لم يكن لهم علم بها من قبل . فقد كان الكاتب الفرنسى المعروف « چان جاك روسو » Jean Jacques Rousseau ـ ابان الثورة الفرنسية ـ يؤكد من أهمية الطبيعة ويعلى من شأن الانسان . كما أن « بومارشيه » Beaumarchais كتب مسرحية فكاهية أعلى فيها من شأن الطبقة المتوسطة على حساب طبقة النبلاء . ومن الطبيعى أن تترك هذه الاتجاهات الاجتماعية أثرا ظاهرا فى الفن بما فى ذلك فن الأوبرا . فقد أخذ «موزار» Mozart

ـ الموسيقى النمسوى المشهور ـ مسرحية « بو مارشيه» المسماة « زواج فيجارو » Le Mariage de Figaro ووضع لها ألحانا على الطريقة الايطالية . وقد قطع «موزار» شوطا أبعد مما قطعه سلفه «جلوك» فى أن يجعل الموسيقى وسيلة للتعبير عن الأوبرا وليست غاية فى حد ذاتها . ونستطيع أن نعتبر تلك الفترة بداية عهد الموسيقى المسرحية .

ولكن حتى فى عهد «موزار» لم تستطع الأوبرا أن تنفض عنها غبار التصنع الذى علق بها فترة غير وجيزة من الزمن ، عندما كان ابراز صوت المغنى هو كل مايعنى به الموسيقيون.

* * *

وأتى القرن التاسع عشر على ايطاليا فكانت الأوبرا فيها حمى أصابت الايطاليين . غير أنه لم تكن هناك تلك المثل التى كان يدعو اليها «جلوك» و «موزار» ، وانما كل ما كان هناك هو تلك المرونة الطبيعية التى وهبتها ايطاليا لمغنيها ، والموسيقى الساحرة التى ألهمت بها مؤلفيها الموسيقيين . ومن الذين لمع نجمهم فى تلك الفترة «تشيما روزا» Cimarosa و « دونيزيتى » Donizette « وبللينى » Bellini و «روسينى» Rossini .

وكانت فرنسا فى ذلك الوقت تولى مناظر الأوبرا عناية فائقة ، وبخاصة الأوبرا التاريخية . فمن الواضح أن ذلك اللون من الأوبرات كان يستلزم جوا خاصا تسوده العظمة والرهبة وتتخلله الأناشيد الحماسية . كما أنه وجد هناك اهتمام خاص بعنصر البالية .

* * *

أما فى ألمانيا فيمكن تتبع نمو الأوبرا فيها منذ عام ١٦٩٥ حين افتتحت أول دار للأوبرا فى مدينة هامبورج . وبدلا من

أن تقدم فيها أوبرات كالتى كانت تقدم على مسارح الأوبرا فى ايطاليا ، كانت تختص بلون جديد معين يسمى «سينجسبيل» singspiel ، وهو يشبه الى حد كبير «الأوبريت» التى نعرفها اليوم . وكانت السنجسبيل هذه تتكون من عدة مقطوعات موسيقية منوعة يربطها ديالوج خاص . وكان التمثيل فيها يميل فى العادة الى المرح والهدوء أكثر مما يميل الى الصخب . ومن الأمثلة الواضحة لأوبرات تلك الفترة ، أوبرا «فيديليو» Fidelio لبيتهوفن Beethoven التى كان لها تأثير كبير على فن الأوبرا فى المانيا . ومن الذين لمع نجمهم أيضا فى المانيا الموسيقى المشهور « رتشارد ڤاجنر » Richard Wagner .

* * *

ونعود الى ايطاليا لنجد أن ازدهار الأوبرا فيها على يد «روسينى» و «بللينى» و «دونيزيتى» قد تلته روح جديدة تغلغلت فى جميع نواحى الحياة فى ايطاليا . فقد كانت هناك حركة تنادى بتحرير البلاد من نير الاستعمار النمسوى . وبدأت تلك الروح الجديدة تسرى فى عروق الأوبرا الايطالية فتجعلها تنبض فى قوة وحرارة لم تكن لتعرفها أوبرا «حلاق أشبيلية» مثلا التى تتميز بالرقة والهدوء . وأصبحت دار الأوبرا مكانا يتنفس فيه أولئك الذين يرومون الحرية . وكان «ڤردى» Verdi أكبر من حمل لواء الثورة عن طريق الموسيقى ، حتى ان احدى أوبراته وهى «ريجوليتو» Rigoletto اضطر الرقيب أن يجرى فيها بعض التعديل . الا أن الجمهور لم يكن ليخفى عليه ماقصده «فردى» من تلك الأوبرا .

ومن الطبيعى الا تصل الأوبرات التى وضعت فى تلك الظروف القاسية الى درجة مقبولة من الكمال والاتقان . فقد كانت أوبرات « ڤردى » الأولى تعتمد أكثر ما تعتمد على الموضوع المثير والقصة التى تلهب العاطفة . أما الاهتمام بالموسيقى فلم يكن له شأن كبير . غير أن قدرة « ڤردى » الفنية لم تلبث أن نضجت فيما بعد ، وأصبحت أوبراته «عايدة» و « عطيل » و « فولستاف » نماذج يحذو حذوها المؤلفون الموسيقيون .

جیوسپی فردی

عـــــایده

Giuseppe Verdi

AIDA

فى عام ١٨٦٩ تلقى الموسيقى الايطالى المشهور «چيوسيپى ڤردى» Giuseppe Verdi عرضا سخيا من الخديو اسماعيل لوضع ألحان أوبرا جديدة لدار الأوبرا المصرية احتفالا بافتتاح قناة السويس .
وقد اشترط العرض أن تكون الأوبرا ذات طابع مصرى . وتصادف أن كان فى مصر أحد علماء الآثار الفرنسيين المشتغلين بدراسة تاريخ مصر القديم ، فوضع قصة الأوبرا . ثم نظم كلماتها « كميل دى لوكل » Camille du Locle . وأخيرا نظمها شعرا بالايطالية « انطونيو غزلانتزونى » Ant nio Ghislanzoni . وقد قدمت لأول مرة على مسرح الأوبرا المصرية عام ١٨٧١ ، ثم على مسرح « لاسكالا » La Scala بميلانو عام ١٨٧٢ .

شخصيات الأوبرا :

رمفيس : كبير الكهنة بمعبد ايزيس — **Ramfis**

راداميس : قائد الحرس المصرى — **Radamis**

أمنيريس : ابنة فرعون ملك مصر — **Amneris**

عايدة : أسيرة حبشية وابنة ملك الحبشة — **Aïda**

فرعون : ملك مصر — **Pharaoh**

أموناسرو : ملك الحبشة ووالد عايدة — **Amonasro**

رسول ـ كهنة ـ كاهنات ـ جنود ـ وزراء ـ أسرى أحباش

زمن الأوبرا : عهد الفراعنة

المكان : ممفيس وطيبة

الفصل الأول

المنظر الأول ـ القاعة الكبرى فى قصر فرعون بمدينة ممفيس

قبل أن ترفع الستار عن الفصل الأول ، تصور لنا المقدمة الموسيقية الصراع العنيف الذى سنشاهده بعد قليل . فان « عايدة » هى قصة الصراع الرهيب بين الحب والواجب .. قصة الضابط المصرى الشاب « راداميس » الذى وهب حياته لخدمة بلاده ، ومنح قلبه لأسيرة من أعدائه ! .. فقد أحب « عايدة » الحبشية التى أسرها الجيش المصرى فى احدى معاركه مع الأحباش .

وترتفع الستار ، فاذا « رمفيس » ـ كبير الكهنة ـ يتحدث الى الضابط « راداميس » بين أروقة القصر :

رمفيس : لقد بلغنى أن الأحباش يهددون طيبة من جديد . وقد اختارت الالهة « ايزيس » قائدا شابا شجاعا ليصد عدوانهم . وهأنذا ذاهب الى الملك لأعلن اسمه اليه .

ويغادر الكاهن المكان ، فيبقى راداميس غارقا فى تأملاته وأفكاره . ويحدث نفسه مغمغما : « ماذا لو وقع الاختيار على ؟ ! .. اننى سوف أعود الى حبيبتى عايدة مكللا بالغار! »

ويظل راداميس تائها فى أحلامه ، فلا يقع بصره على « أمنيريس » ـ ابنة الملك ـ التى تدخل وتتأمله عن قرب . انها تحبه ، ولكنها تغار عليه وتخشى أن يكون قلبه لسواها :

أمنيريس : ما الذى يبعث فيك الابتهاج هكذا ؟ .. انها لمحظوظة تلك المرأة التى تستطيع أن تدخل عليك كل هذه السعادة !

وهنا يحدثها راداميس عن آماله وطموحه ، دون أن يتبين ان كانت قد لاحظت عليه أنه واقع فى حب جاريتها الحبشية عايدة .

وفى هذه اللحظة تدخل عايدة وقد أفزعتها أنباء الحرب المرتقبة . ولكن أمنيريس تخفى مشاعرها لتقف على حقيقة العلاقة بين راداميس وغريمتها الأسيرة عايدة .

وينخرط الثلاثة فى غناء ثلاثى (تريو) مؤثر ، نتبين خلاله ما يدور فى نفس كل منهم . فان عايدة تعبر عن حبها الدفين، وأمنيريس عن غيرتها الضارية ، وراداميس عن خوفه من أن تفسد خططه الأميرة العاشقة .

وحالما يظهر الملك وقد أحاط به عدد هائل من الوزراء والحراس والأتباع . ويعلن رسول الملك قائلا :

« لقد أغار الأحباش على بلادنا ، وهم فى طريقهم الى طيبة بقيادة ملكهم أموناسرو » .

وتحبس عايدة صرخة كادت تفلت من بين شفتيها . فانها وحدها تعلم الحقيقة الأليمة ، وهى أن أموناسرو ملك الأحباش ليس سوى أبيها ، وانه قادم ليحررها من الأسر .

ويتعالى صوت الشعب مطالبا بالحرب ، فيعلن الملك أن الالهة « ايزيس » قد اختارت الضابط راداميس ليكون قائدا للحملة المصرية ، ثم يأمره بأن يتوجه الى معبد « فولكان » ليتسلم منه « السلاح المقدس » ، فى حين تناوله أمنيريس « العلم الملكى » وتنشد له مشجعة : « فلتعد لنا ظافرا ! » ، فيردد دعاءها عايدة وجماعة المنشدين .

ويخرج الجميع ، فتبقى عايدة بمفردها تحدث نفسها بصوت متهدج حائر : « لقد تمنيت لحبيبى أن يعود ظافرا . . أن ينتصر على والدى واخوتى الذين يحاربون لاعادتى

الى بلادى !.. أيتها الآلهة ، ارحمى شقائى ودعينى أموت ! »
ثم يرتفع صوتها بغناء شهى حزين .

المنظر الثانى ـ معبد « فولكان » بمدينة ممفيس

يرفع الستار عن المعبد وقداضيىء بأنوار غريبة غيرظاهرة وأخذ دخان البخور يتصاعد حول المذبح الذى وقف أمامه كبير الكهنة « رمفيس » ينتظر قدوم راداميس . ويسمع صوت احدى الكاهنات وهى تبتهل الى «الاله بتاح القدير». ثم يبدأ رمفيس وكهنته يرتلون أناشيدهم الشجية ، فى حين تدور الكاهنات حول المذبح فى خشوع وابتهال .

ويصل راداميس ، ثم يقترب من المذبح حيث يضع رمفيس فوق رأسه غطاء من الفضة ويسلمه سيفا :

رمفيس : لقد عهدت اليك الآلهة بمصير البلاد . وهذا السيف المقدس الذى تحمله يداك ، يجب أن يجلب الموت القاصف للاعداء ! .

... ثم تدوى أركان المعبد بصيحات النصر !

الفصل الثانى

المنظر الأول ـ غرفة امنيريس بقصر الملك

تجلس الأميرة امنيريس وحولها وصائفها يصلحن من زينتها استعدادا للاحتفال بعودة راداميس منتصرا من القتال . واذ تظهر عايدة ، تأمر الأميرة وصائفها بالانصراف ليخلو لها الجو للتحدث الى الأسيرة الحبشية ، لعلها تستطيع أن تستدرجها لتبوح لها بمكنون قلبها :

امنيريس : اننى صديقتك ياعايدة ، فاطلبى منى ماتشائين!

عايدة : وكيف يهنأ لى عيش وأنا بعيدة عن وطنى ، لا اعرف ماذا وقع لأبى واخوتى ؟ !

فتقول لها الأميرة فى خبث :

أمنيريس : ان الزمن كفيل بأن يكلأ جراحك ، والحب أكثر منه قدرة على ذلك !

وكأنما ضربت هذه العبارة أوتار قلب عايدة ، فتشرع فى الغناء . وهنا تتأكد امنيريس من صدق حدسها ، ولكنها تحاول أن تجرى عليها اختبارا آخر فتزعم لها أن راداميس قد مات فى المعركة !

فتجهش عايدة بالبكاء ثم تقول فى أنين موجع : « اذن ، سأبكى الى الأبد ! »

وتثور امنيريس وتعلن صائحة :

ـ لقد اكتشفت سرك ! . . . ان راداميس ما زال على قيد الحياة ، وغريمتك فى حبه هى أنا ـ ابنة الفراعنة!

وتسمع أناشيد النصر تدوى فى الخارج ، فتصيح امنيريس مهددة متوعدة ، فى حين تبتهل عايدة الى الآلهة أن تشملها برحمتها ورعايتها .

المنظر الثانى ـ مدخل مدينة طيبة

يغص مدخل المدينة بأفراد الشعب ، ويمر موكب النصر بمعبد آمون ثم يتقدم أمام قصر الملك . وحالما يظهر الملك وحوله حاشيته ثم يعتلى العرش . وتتقدم منه امنيريس وقد احاطت بها الوصائف ومن بينهن عايدة ، فتجلس بجواره .

وتمر القوات المصرية فى عرض رائع أمام شرفة القصر ، بينما تعزف الموسيقى أنغام النصر .

وأخيرا يظهر راداميس بين صيحات الجمهور المدوية وقد استقل عربة فاخرة . واذ يتقدم من العرش يعانقه الملك قائلا :

الملك : أيها المنقذ ، ان مصر تحييك ! فلتتقدم الآن من ابنتى لتمنحك « شارة النصر » !

وينحنى راداميس أمام الأميرة فتتوج جبينه بأكليل الغار. ويواصل الملك قائلا :

الملك : اطلب منى ماتشاء أيها المحارب الشجاع ، فسوف امنحك كل ماتطلب فى هذا اليوم !

راداميس : اننى أطلب من مولاى أن يأمر باحضار الأسرى الى هنا .

ويتقدم الأسرى الأحباش مصفدين بالأغلال ، فتذهل عايدة عندما تلمح اباها بينهم . فتتقدم منه وتعانقه ، ولكن « امونا سرو » ـ ملك الحبشة ـ يطلب منها الاتفصح عن شخصيته . وفى دهاء وسعة حيلة يتوسل الى فرعون ملك مصر قائلا :

اموناسرو : لقد قتل ملكنا ، وأصبحت انت صاحب الكلمة العليا ، فاشملنا برحمتك !

وتنضم عايدة وبقية الأحباش الى امونا سرو فى توسلاته لملك مصر . لكن الكهنة يرفضون طلبهم فى اصرار ، فيذكر راداميس الملك بوعده قائلا :

راداميس : اننى أطلب الحياة والحرية للأحباش !

وأخيرا يقترح رمفيس ـ كبير الكهنة ـ حلا وسطا : أن يبقى «اموناسرو» رهينة فى أيدى المصريين . ويوافق فرعون على هذا الاقتراح فيعلن قائلا :

فرعون : اننى أوافق على هذا الرأى . ولكى نحتفل بالسلام ، سأمنح راداميس يد ابنتى امنيريس !

وتتعالى صيحات الابتهاج من الشعب عندما ينزل الملك من على العرش ، وتتبعه امنيريس فى نشوة وزهو وبصحبتها راداميس ، فى حين ترتمى عايدة بين أحضان أبيها الأسير وتنخرط فى البكاء .

الفصل الثالث

المنظر ـ ضفاف النيل

يلقى القمر أشعته الفضية الناعسة على ضفاف النيل ، وينبعث من المعبد ترتيل الكهنة الخافت الحزين . ويدنو قارب من الشاطىء ،ثم ينزل منه رمفيس‌وامنيريس . ويقود كبير الكهنة الأميرة الى داخل المعبد لتمضى عشية زفافها فى الصلاة .

ولا يكاد الاثنان يدخلان حتى تظهر عايدة وقد ألقت على وجهها خمارا كثيفا . لقد أتت لتلقى حبيبها راداميس سرا.

وتتساءل الأسيرة الحبشية : « ماذا عسى راداميس أن يقول ؟ .. ان كان سيأتى ليبثنى الوداع ، فسوف أنهى حياتى فى أعماق النيل ! » .

ثم تشرع فى غناء شهى رخيم وقد تملكها حنين غامر الى بلادها :

« أيتها السماء الجلواء المشرقة ، وأيتها التلال الزاهرة السامقة ، وأيها النسيم العليل الساهم .. اننى لن أراك أبدا» وفجأة تسمع وقع أقدام ، وحالما ترى أمامها أباها الذى أدرك سر شقائها فجاء اليها بخطة لتخليصها هى وحبيبها . ويحدثها اموناسرو قائلا ان الأحباش يستعدون لرد عدوان المصريين ، وكل ما يحتاجون اليه هو معرفة الطريق الذى سوف يسلكه الجيش المصرى فى هجومه عليهم ، وما على عايدة الا أن تعرف ذلك من حبيبها راداميس !

عايدة : انك تطلب منى أن أخدع الرجل الذى أحبه ... اننى لا أستطيع !

ويذكر اموناسرو ابنته بالمصير القاتم الذى آلت اليه بلادهما ويصيح بها غاضبا :

امونـاسرو : انك لست الآن ابنة ملك الحبشة ، بل أسيرة ذليلة للفراعنة !

ثم يهدأ غضبه عندما تجثو عايدة أمامه راضخة ، فيقول لها مستطردا :

امونـاسرو : تشجعى ، واذكرى أن خلاص بلادنا سيتم على يديك . ولكن .. هاهوذا راداميس قادم ، فسوف اختفى أنا بين النخيل وانصت الى ما يقول !

ويقبل راداميس متهللا للقاءحبيبته ،ولكنعايدة تستقبله فى فتور :

عايدة : لماذا أتيت الى هنا ؟ . . ان حبك من حق الأميرة امنيريس !

راداميس : ماذا تقولين ؟ .. اننى لا أحب سواك !

عايدة : وكيف تعارض رغبات الملك والكهنة ؟

راداميس : انت تعلمين ان الأحباش سيغيرون من جديد على حدودنا . ولقد وقع الاختيار على لصد عدوانهم . فاذا قدر لى النصر هذه المرة أيضا ، فسوف أطلب يدك مكافأة على حسن بلائى !

لكن عايدة لا توافقه على هذا الرأى وتقترح عليه أن يهرب معها . واذ يرضح راداميس لرغبتها تسأله :

عايدة : وأى طريق نسلكه لنتجنب رؤية الجيش لنا ؟

راداميس : ان جيشنا لن يتحرك قبل الغـد . وسيكون الطريق خاليا الليلة ، فعلينا أن نهرب عبر مضيق « ناباتا ».

وهنا يخرج امونـاسرو من مكمنه ويكشف عن شخصيته معلنا :

امونا سرو : هنالك سـوف أضع جنودى .. أنا ـ ملك الحبشة !

ولا يسع راداميس بعد أن تبين بشاعة جرمه الا أن يتأهب للفرار !

ولكن صوتا يشق سكون الليل يأتى اليهم من أعلى درجات المعبد صائحا :

ـ خائن !

.. انها امنيريس التى كانت مختبئة وسمعت كل شيء !

ويهم اموناسرو بقتلها ، ولكن راداميس يعترض طريقه ويطلب منه الاسراع فى الهروب هو وابنته . ويقبل كبير الكهنة على صوت الجلبة ، فيتقدم منه راداميس ويسلم اليه نفسه قائلا :

راداميس : اننى لم أعد جديرا بقيادة الجيش !..

ثم يسلمه « السيف المقدس » . واذ يأخذه منه رمفيس تسدل الستار .

الفصل الرابع

المنظر الأول ـ قاعة المحاكمة

تمر الأميرة امنيريس أمام مدخل القاعة بخطوات متثاقلة وقد تملكها يأس جاثم مرير . لقد تبخرت غيرتها ولم تعد تفكر الا فى حبها لراداميس والعمل على انقاذه . وهاهى ذى تنتظر مثوله بين يديها بعد أن أمرت الحراس باحضاره .

ويقبل راداميس ، فتتوسل اليه امنيريس أن يعترف بجرمه ويطلب العفو . لكن راداميس الذى لم تعد له رغبة فى العيش بدون عايدة ، يرفض طلبها . فتردف الأميرة قائلة :

امنيريس : ان عايدة لا تزال على قيد الحياة . فقد هربت بعد أن قتل جنودنا أباها . وأنا على استعداد لأن أتوسط لدى الملك ليعفو عنك اذا أقسمت لى بأن تتخلى عنها الى الأبد!

لكن راداميس يرفض عرضها قائلا :

راداميس : اننى لم أعد أهاب الموت !

فتثور امنيريس وتأمر الحراس باعادته الى زنزانته .

ويمر رمفيس وكهنته فى طريقهم الى غرفة المحاكمة ، وحالما يلحق بهم راداميس . وتسمع امنيريس الكاهن وهو ينطق بالحكم معلنا :

« راداميس ! انك ستلقى جزاء الخائن .. سوف تدفن حيا أسفل معبد الالهة ايزيس التى خنت عهدها ! »

وترتعد امنيريس عندسماع هذا الحكم الصارم، فتتوسل الى الكهنة أن يخففوا عنه الحكم . ولكن الكهنة يحدجونها بنظرة احتقار ويرفضون طلبها ، واذ يغادرون القاعة ،تصيح امنيريس وقد استبد بها الحزن ووخز الضمير :

امنيريس : أيها الكهنة غلاظ القلوب ، اننى العنكم !

.. ثم ترتمى على الأرض مغشيا عليها .

المنظر الثانى ـ معبد فولكان

يقسم المسرح فى هذا المنظر الأخير الى طابقين : فى اعلى يوجد معبد فولكان وقد ازدان بالنقوش الذهبية . وفى أسفل يوجد القبو المعتم الذى ينتظر فيه راداميس مصيره الرهيب . ويقبل كاهنان ويضعان حجرا فوق فتحة القبو فيحكمان اغلاقه .

ويجلس راداميس داخل القبو يناجى حبيبته الغائبة ، فيقول بصوت خائر :

راداميس : أين أنت الآن يا عايدة ؟.. اننى أرجو الايكون قد بلغك مصيرى !

وفجأة يسمع صوتا داخل القبو فيتملكه فزع شديد ويصيح :

ـ انه شبح !

لكن عايدة لا تلبث أن تظهر أمامه وتعلن قائلة :

ـ بل هى أنا !.. وقد أتيت لأموت معك !

ويتسلل الى القبو صوت خافت ضئيل .. انهم الكهنة يصلون الى «الاله بتاح القدير» . وكأن هذا الصوت قدبعث فى قلب راداميس حب الحياة لنفسه ولحبيبته ، فيستجمع قواه محاولا رفع الحجر الذى يغلق القبو..لكن دون جدوى!

وتهدىء عايدة من روعه مواسية :

عايدة : لقد انتهى كل ما لنا على الأرض . . ولن تكف احزاننا الا بعيدا عنها !

ويستسلم الحبيبان لمصيرهما فينشدان :

« وداعا أيتها الأرض .. وداعا يا موطن الأحزان ! »

واذ يتعانق الاثنان وهما يتأهبان للموت ، تظهر امنيريس فى أعلى وقد ارتدت ملابس الحداد ، ثم ترتمى فوق الحجر الذى يختم القبو وتطلب لروح راداميس السلام !

ستار

جورج بيزيه

كارمن

Georges Bizet

CARMEN

هذه الاوبرا مقتبسة من قصة بعنوان «كارمن» للروائى الفرنسى « بروسبير ميريميه » Prosper Merimée وكان «ميريميه» قد قام بعدة رحلات الى اسبانيا حيث قابل فيها ألوانا شائقة من الناس ، كماسمع قصصا غريبة عن الحياة الأسبانية . ومن أغرب القصص المثيرة التى سمعها تلك القصة التى تدور حول فتاة غجرية تدعى «كارمن» . وقد أوحت حياة تلك الفجرية الى « ميريميه » بكتابة القصة .

وقرأ « جورج بيزيه » Georges Bizet ـ الموسيقى الفرنسى ـ هذه القصة ، فوجدها حافلة بكل ما تستطيع أن تعبر عنه الموسيقى . ومن ثم عكف على وضع الحانها ، فكان لنا منها تلك الدرة التى خلدتها دور الأوبرا فى العالم .

شخصيات الأوبرا :

مورال	: ضابط	Mora les
ميشيلا	: فتاة ريفية	Micaela
دون جوزيه	: جندى برتبة أونباشى	Don José
زونيجا	: قائد حامية الجند	Zoniga
كارمن	: فتاة غجرية تعمل فى مصنع للطباق	Carmen
فراسكيتا مرسيديس	غجريتان صديقتان لكارمن	Frasquita Mercedes
اسكاميللو	: مصارع ثيران	Escamillo
رمندادو دانكايرو	مهربان	Remendado Dancaïro

المكان : «اشبيلية» والجبال المجاورة لها

زمن الاوبرا : حوالى عام ١٨٣٠

الفصل الأول

المنظر ـ ميدان فى اشبيلية

فى الجانب الأيمن توجد بوابة مصنع للطباق . وفى الجانب الأيسر توجد ثلة من الجنود يدخنون أمام معسكرهم . المارة يتزاحمون هنا وهناك . يظهر الضابط مورال وهو يتفرس وجوه المارة شأنه شأن بقية الجنود . وفجأة تقع عينه على فتاة ريفية يجول ماء الحياء فى وجهها ، ويبدو أنها تريد أن تسأل عن شخص ما . فيقترب منها الضابط ، وحينئذ تسأله فى أدب جم :

ـ انى أبحث عن أنباشى يدعى جوزيه . هلا تعرفه ؟

فيخبرها بأن جوزيه سوف يحضر عندما يحل موعد غفرته ، ويقترح عليها أن تنتظره . غير أنها لاتوافقه وتستأذن فى الانصراف .

ويسمع من بعيد صوت نفير معلنا تغيير الغفرة . ويأتى دون جوريه فيخبره الضابط عن الفتاة ذات الرداء الأزرق والضفائر المنسدلة التى أتت تسأل عنه . ويجيب جوزيه بقوله :

ـ لابد أن تكون ميشيلا !

ويسمع صوت نفير للمرة الثانية معلنا بانتهاء دورية الضابط مورال فينصرف الضابط ويبقى دون جوزيه مع الضابط زونيجا الذى يبدأ يوجه اليه كلاما ذا مغزى عن صاحبته الحسناء التى أتت تسأل عنه . غير أن جوزيه يرد عليه فى خشونة :

ـ قد يعجبنك فتيات المصنع . ولكنى أحب ميشيلا !

ويدق جرس المصنع معلنا الثانية عشرة ظهرا وهو موعد انصراف العاملات ، فتتدفق الفتيات خارجات من المصنع .

ولكن الجنود القلقين يسألون فى لهفة :

ـ أين كارمن ؟ .. اننا لا نراها !

وتظهر كارمن فى الميدان من حيث لا يشعر أحد . انها غجرية خليعة ذات جمال فاسق ساحر ، قد وضعت فى فمها زهرة متأرجة حمراء،وراحت تسخر من تهافت الجنود عليها. ثم تغنى لهم أغنية « الهابانيرا » المشهورة التى مطلعها :

« انما الحب طائر كاسر يجول فى الغابة ... »

وتلحظ وهى تغنى «دون جوزيه» وقد جلس هادئا يصلح سلسلة ساعته غير مكترث بوجودها ، فى حين أخذ بقية الجنود يرددون الغناء بعدها . ويجرح عدم اكتراث جوزيه كبرياء الغجرية ، فتلقى فى وجهه بالوردة الحمراء ، ثم تتجه نحو المصنع وهى تطلق ضحكة ساخرة .

ويعلن جرس المصنع موعد بدأ العمل من جديد ، فتنصرف الفتيات ويبقى دون جوزيه وحيدا . انه يمسك بالوردة التى القت له بها كارمن ، واذ يتنشقها يشعر بقشعريرة تسرى فى جسده . انها لم تلق عليه الا سحرها ! فيقبض على الوردة فى حرص ويخفيها فى سترته .

وتمضى برهة يسمع بعدها صوتا رقيقا يناديه . انه صوت ميشيلا ! فيقبل على حبيبة طفولته يحييها . وتسلم اليه ميشيلا خطابا أحضرته له من والدته التى تقطن فى القرية البعيدة عن الوادى . وتنصرف الفتاة الوادعة مسرعة قبل أن يفض الخطاب .

وما أن ينتهى جوزيه من قراءته حتى يحدث نفسه قائلا :

ـ لا تخافى يا أماه ! فلسوف أفعل كما تشاءين . اننى

أحب ميشيلا وسأتزوجها على الرغم من الوردة المسحورة !

وفجأة تنبعث من المصنع أصوات استغاثة صارخة . لقد طعنت كارمن احدى زميلاتها بمدية حادة ، وقامت على الأثر مشاجرة حامية .

ويقع اختيار الضابط زونيجا على دون جوزيه لينقذ الموقف . وبعد قليل يعود الجندى ومعه كارمن غير مكترثة بشيء . وفى غير مبالاة ترفض أن تجيب على أسئلة الضابط وتشرع فى الغناء . ويستشيط الضابط غضبا فيصيح بها :

ـ اذا لم تكف عن هذا الاستهتار فسوف تتمين أغنيتك فى السجن !

ويتركها الضابط تحت حراسة جوزيه .

وتتخطر كارمن فى اغراء على الرغم من أن يديها مشدودتان الى مقعد خلفها . وتغنى للجندى الطيب القلب أغنية عاطفية وتغريه بما يوجد فى حانة « ليلاس » من لذات ومسرات يمكن أن يتمتع بها ان هو أطلق سراحها .

ولا يستطيع جوزيه أن يصمد طويلا أمام اغراء الغجرية ، فيقطع الحبال التى توثق يديها ويعدها بأن يقابلها فى الحانة .

ويأتى الجنود الذين أرسلهم الضابط زونيجا لتسلم المتهمة ولكن كارمن تستطيع بدهائها وسعة حيلتها أن تدفع جوزيه بيديها فيسقط فوق أقدام الجنود الذين يسقطون بدورهم على الأرض ، فتتمكن بذلك من الفرار .

وتثبت على جوزيه تهمة تيسير سبيل الفرار للمتهمة ، فيصدر الضابط زونيجا أمره بالقبض عليه .

الفصل الثانى

المنظر ـ حانة ليلاس

الحانة حافلة بكثير من الغجريات اللاتى يرقصن ويغزفن على القيثارة . كارمن ترتدى زيا اسبانيا رائعا ، وتتحدث مع صديقتيها فراسكيتا ومرسيديس وجماعة من الضباط .

يغلق «ليلاس» أبواب الحانة فيطلب الضابط زونيجا من كارمن أن تصحبه الى منزله. وترفض كارمن ، ولكن زونيجا يلح عليها :

ـ هل أنت متألمة منى ؟ لقد أطلقت سراح جوزيه !

ويظهر فى هذه اللحظة ضوء مشعل يقترب من الحانة .. فيقول الضابط :

ـ انه « اسكاميللو» مصارع الثيران المشهور !

ويقترب المصارع المختال فى زيه المزركش وحوله جماعة من المعجبين . ويشرب الجميع نخب مصارع الثيران العظيم . ويرد اسكاميللو عليهم هذه التحية بأغنية «تريادور» المشهورة التى تصف مغامرات مصارع الثيران .

ولا تحول كارمن نظرها عن هذا المغامر الساحر طوال هذه الأغنية !ويسألها اسكاميللو بعدأن ينتهى من الغناء عن اسمها:

ـ أود أن أعرف اسمك حتى استخدمه كسحر كلما واجهت خطرا !

وتجيبه كارمن الى طلبه ..

ويغادر اسكاميللو الحانة مع الضابط زونيجا وزملائه تاركين كارمن مع صديقتيها فراسكيتا ومرسيديس . وهنا تصفق كارمن تصفيقا خاصا ، فيخرج من حجرة جانبية

رجلان عليهما طابع الغلظة والخشونة . انهما المهربان «رمندادو و دانكايرو » اللذان تعمل كارمن وزميلاتها لحسابهما .

ويحث الرجلان كارمن وزميلتيها فراسكيتا ومرسبديس على اللحاق بهما فى حملتهما التجريدية التى اعتزما القيام بها هذه الليلة . ولكن كارمن تجيب :

ـ لا أستطيع الذهاب ، فانى أحب !

وفى اللحظة التى يتوسلون فيها اليها ان تعدل عن رأيها ، يسمع صوت الجندى دون جوزيه فى الخارج يغنى اغنية عسكرية معروفة . لعلها اذن تستطيع ان تحثه على الانضمام اليهم !

ويترك المهربان كارمن بمفردها لتحيى حبيبها . فتأخذ فى الرقص حول المقعد الذى طلبت من جوزيه الجلوس عليه .

ويقطع رقصها صوت بوق بعيد ، فيتذكر جوزيه انه نداء العودة الى المعسكر ويهم بالانصراف . ولكن كارمن التى لا تعرف الا نداء قلبها ، تحتد وترتسم على وجهها علامات السخط والغضب ، فتقذف له بقبعته . وعبثا يحاول جوزيه أن يهدىء من ثورتها .

جوزيه : من الخطأ أن تهزئى بى يا كارمن .. اصغ الى !

ثم يظهر لها الوردة الحمراء الذابلة التى كان يحتفظ بها فى سترته وهو فى السجن كدلالة على حبه المقيم لها . ولكن كارمن العنيدة تصر على رأيها .

كارمن : اذا كنت تحبنى حقا ، فعليك أن تتبعنى الى حيث الحرية فى الجبال !

جوزيه : اليس من العار أن أتخلى عن العلم الذى من أجله أحارب ؟

كارمن : اذن عد الى معسكرك . فانى احتقرك !

ويوشك الاثنان على الافتراق عندما يعود الضابط زونيجا

ليرى هل قر رأى كارمن على اصطحابه الليلة الى منزله . واذ يلمح جوزيه يعنفها على تفضيلها جنديا عاديا عليه . ثم يأمر الجندى بالانصراف . ولشـــدما تكون دهشته عندما يجيبه جوزيه :

ـ سوف لا انصرف !

لقد سحقت الغيرة عقله فجعلته لايدرك الموقف على حقيقته. وها هوذا يدعو رئيسه للنزال فينتصر عليه ويرديه قتيلا !

وتمضى برهة من الصمت الرهيب تسأله بعدها كارمن :

ـ والآن .. هل تنضم الينا ؟

ويتبين الجندى خطر الجريمة التى اقترفها ، فلا يتردد فى الانضمام الى جماعة الخارجين على القانون .

الفصل الثالث

المنظر ـ فى الجبال

يقترح دانكايرو ـ أحد المهربين ـ على العصابة أن تحط رحالها ، ثم يرسل بعض الأفراد تجاه الساحل للاستطلاع . وترقد الغجريات على الأرض فى تراخ وقد ارتدين ملابسهن الفضفاضة المزركشة .

أما دون جوزيه فيجلس وقد بدت عليه عـلامات الأسى العميق . انه يتطلع الى ذلك الوادى البعيد حيث تعيش أمه ويسأل نفسه : ترى هل بقيت لديه ذرة من الشرف ؟

وتدرك كارمن ما يخالج نفس الجندى فتسأله فى عنف :

ـ اذا كانت حياتنا لا تلائمك ، فلم لا تعود الى أهلك ؟

ويثور جوزيه لهذا الســؤال الجارح ، فيضــع يده على

ـ تستطيع أن تقتلنى ان شـئت . ولكن .. ماذا بعد الخنجر المعلق الى جانبه . ولكن كارمن تبادره بقولها : ذلك ؟!

وتمضى فترة صمت تذهب بعدها كارمن الى حيث تجلس زميلتاها فراسكيتا ومرسيديس تكشفان عن الحظ بالورق .

وتكشف كارمن عن حظها ، فلا يكشف لهـا اثنتى عشرة مرة متتالية الا عن شىء واحد : الموت !

ويعود دنكايرو ليعلن خلو الساحل من الحراس ، اللهم ثلاثة يقفون عند ممر جانبى ، فيطلب من كارمن وزميلتيها الذهاب لمراوضتهم . أما دون جوزيه فيبقى لحراسة البضائع التى تم السطو عليها .

وهنا تظهر ميشيلا ـ حبيبة طفولته القديمـة ـ وقد ارتدت ثوبها الأزرق ، ومعها حارس تطلب منه الابتعاد حينما تقترب من المكان الذى يجلس فيه جـوزيه . وما ان تقع عينها عليه حتى تشير اليه وتناديه ، ولكن جوزيه لا يسمع نداءها لعلو الصخرة التى يجلس عليها .

وفجأة يسمع صوت طلقة نارية ، فتختفى ميشيلا خائفة وراء صخرة جانبية . وفى هذه اللحظة يظهر اسكاميللو ـ مصارع الثيران ـ وقد أمسك بقبعته ليرى موضع الثقب الذى أحدثته الطلقة !

ويندفع اليه جوزيه ويسأله فى حدة :

ـ من أنت ؟

ـ اسكاميللو مصارع الثيران . وقد أتيت لأبحث عن فتاتى الغجرية التى تدعى كارمن . وكان آخر ماسمعته عنها أنها وقعت فى غرام أحد الجنود . غير أن حبها لايدوم على ماأظن أكثر من ستة أشهر !..

ويسحب كل من الرجلين خنجره استعدادا للقتال . ولكن كارمن لاتلبث أن تعود فتوقف المبارزة بمساعدة زميلتيها .

ويقول اسكاميللو قبل مغادرة المكان :

ـ أود قبل أن أتركم أن أدعوكم جميعا لمشاهدة مصارعة

الثيران فى اشبيلية . وبطبيعة الحال سوف يأتى لمشاهدتى هناك من يحبنى !

ويعثر ريمندادو ـ أحد المهربين ـ أثناء عودته على ميشيلا مختبئةوراء الصخرة ، فيأتى بهاالى جوزيه. وتقول الفتاة الريفية بصوت ساذج حزين :

ـ ان أمك تبكى من أجلك . فارحمها وعد اليها معى .

وتؤيد كارمن هذا الرأى بقولها :

ـ نعم اذهب معها فان حياتنا هنا لاتناسبك !

ولكن جوزيه يشتم من قول كارمن عدم تعلقها به ، فيصر على البقاء .

وتتوسل اليه ميشيلا مرة ثانية :

ميشيلا : ولكن امك فى طريقها الى الموت !

ويقبل جوزيه بعد لأى العودة معها . وما أن يبتعد قليلا حتى يسمع من بعيد صوت اسكاميللو وهو يغنى أغنية توريادور المشهورة ..

وتبقى كارمن وحيدة . فتمسك بورق اللعب وتطوح به فى الهواء . انهاسوف تسخرمن الحظ ومن القدر ، وسوف لاتموت كما قال لها الورق ، بل ستعيش من أجل اسكاميللو .

ترى هل تطول سخريتها من القدر ؟!..

الفصل الرابع

المنظر ـ مدخل ميدان مصارعة الثيران فى اشبيلية

لفيف من الباعة الجائلين يتزاحمون ويعرضون بضاعتهم على الجمهور الذى أخذ يتدفق ليشاهد مصارعة الثيران .

ويتقدم مصارعو الثيران فى موكب رائع يصحبهم ضباط المدينة .

وفجأة يتعالى هتاف الجمهور . انه يحيى اسكاميللو بطل مصارعة الثيران !

وينزل اسكاميللو من عربته ، وتنزل من جانبه كارمن وقد ارتدت ثوبا فاخرا وتزينت بمجوهرات ثمينة ، فيساعدها اسكاميللو وهى تهم بالنزول .

ويأتى جوزيه بدافع الشك والغيرة وراء كارمن ، فيندس بين الجمهور ، ويتوارى خلف سور الملعب . ويتحين فرصة وقوف كارمن وحيدة بعد أن ذهب عنها اسكاميللو ليرتدى ملابس المصارعة ، فيتقدم منها ويتوسل اليها فى خنوع تمجه نفسها :

ـ اننى لا أهددك . ولكنى أتوسل اليك .. دعينا نبدأ حياة جديدة بعيدة عن هنا !

ـ من المستحيل ، فقد انتهى كل شىء بيننا .

ويتعالى هتاف الجمهور لانتصار اسكاميللو !

ولكن هذا النجاح الذى يثلج صدر كارمن ، يسحق قلب جوزيه . فيستل مديته ويغمدها فى صدرها . وتصرخ كارمن فى رعب ثم تسقط مضرجة بدمائها .

ويوجه جوزيه كلامه الى الجمهور الذى أقبل على الفور :

ـ تستطيعون أن تقبضوا على . لقد قتلتها !

ثم يلقى بنفسه على جسد كارمن وهو ينشج بالبكاء :

ـ كارمن يامعبودتى !

ستار

بيتهوفن

فيـــــديليو

Beethoven

FIDELIO

كانت هذه الأوبرا فيما مضى تعرف باسم « ليونور » Leonore. وقد كتب كلماتها « سونلايثنر » Sonnleithner ، ووضع ألحانها الموسيقى النمسوى المشهور «لدفيج فانبيتهوفن» Ludwig Van Beethoven ، وقدمت لأول مرة على مسرح فينا بالنمسا عام ١٨٠٥ . وقد اقتضت ظروف سياسية فى ذلك الوقت أن يجرى فيها بيتهوفن عدة تعديلات ، وأن يغير اسمها الى الاسم الذى صارت تعرف به اليوم .

شخصيات الأوبرا :

جاكينو : سجان	**Jaquino**
مارزلين : خطيبته	**Marzelline**
روكو : حارس السجن	**Rocco**
ليونور (فيدليو)	**Leonore (Fidelio)**
دون بيزارو : مأمور السجن	**Don Pizarro**
فلورستان : زوج ليونور	**Florestan**
دون فرناندو : وزير العدل	**Don Fernando**

زمن الأوبرا : القرن الثامن عشر

المكان : اسبانيا

الفصل الأول
المنظر الأول ـ منزل حارس السجن

«دون بيزارو» رجل طاغية لايلين له قلب ، يشغل منصب مأمور أحد السجون قرب أشبيلية .

والسجن الآن يخيم عليه الظلام والعبوس . غير أن منزل حارس السجن يبدو كأنه عالم آخر لما يضفيه عليه الحارس روكو وابنته ذات الجمال الأخاذ مارزلين من بهجة ومرح .

وبينما يباشر الأب عمله فى السجن ، تبقى مارزلين بمفردها فى المنزل . وهنا يأتى السجان جاكينو يتودد اليها ويعاتبها على مجافاتها اياه .

والحقيقة ان الفتاة فى شغل عنه بالشاب فيديليو الذى عين أخيرا مساعدا لأبيها .

وبينما جاكينو يتودد ويتوسل ، يصل الأب روكو يسأل عن مساعده الجديد فيديليو .

وفى هذه اللحظة يسمع قرع على الباب ، فيذهب جاكينو ليرى من الطارق . وتضطرم الغيرة فى قلبه بعنف عندما يرى أمامه الشاب الوسيم فيديليو ، **الذى ليس فى حقيقة أمره سوى «ليونور فلورستان» ، وهى سيدة من أشبيلية زج بزوجها فى سجن لاتعرفه ، فحزمت أمرها على أن تتنكر فى زى رجل وتذهب للبحث عنه .**

ويدخل فيديليو (ليونور) حاملا سلة مملوءة بالطعام . واذ يساعده الأب روكو على اخراج محتوياتها يثنى عليه ويبدى ارتياحه لعمله . والحقيقة أنه يفكر فى أن يزوجه ابنته مارزلين . ويدرك فيديليو ما يدور فى خلد الأب ، فيجثم أمامه خطر الموقف أن هو افتضح أمره . وبعد برهة من الصمت الحائر يقول :

فيديليو : أيها السيد روكو ، اننى أود كثيرا أن أساعدك فى

عملك . لماذا لا تأخذنى الى السراديب الأرضية ؟

روكو : ان لدى أوامر مشـــددة من المأمور بألا أدع أحدا يرى السجناء !

وتنظر مارزلين الى أبيها قائلة :

مارزلين : ان واجبـــاتك تثقـــل كاهلك . ومن المؤكد أن المأمور سوف يسمح لفيديليو بأن يشاركك اياها .

روكو : سأستطلع رأيه على الرغم من انى أعرف أن هناك زنزانة فى هذا السجن لا يمكن لأحـــد غيرى أن يدخلها . ان نزيلها المسكين قد قضى فيها حتى الآن سنتين لايرى خلالهما الضوء ، ولا يقدم اليه الا القليل من الطعام .

وتمسك ليونور (فيديليو) صيحة كادت تفلت من بين شفتيها . ماذا لو كان هـــذا الســـجين المعـــذب هو زوجها فلورستان ؟

وأخيرا تخفى ألمها وقلقها وتقول :

فيديليو : خذنى معك ! ان لدى الشجاعة الكافية وسوف لا أقصر فى مهمتى .

روكو : سوف نرى .. وعلى المأمور أن يوافق أولا .

ثم يبتسم لابنته مارزلين ابتسامة ذات مغزى مشيرا اليها أن تقترب من فيديليو وتتحدث اليه .

ولكن فيديليو (ليونور) لايفكر الا فى شىء واحد ، وهو كيف يدبر خطة ينقذ بها السجين فلورستان !

المنظر الثانى ـ فناء السجن

يظهر دون بيزارو مأمور السجن تحيط به ثلة من الجنود المسلحين .

دون بيزارو : ثلاثة حراس على السور الخارجى ، وستة

فوق القنطرة ! واحضر الى فى الحال كل من تسول له نفسه الاقتراب من الخندق .

وبعد ان يفرغ المأمور من اصدار أوامره الصارمة الجافة ، يمسك بالرسائل التى يقدمها الحارس روكو ويتصفحها فى عجل . وفجأة يقول فى اهتمام بالغ .

دون بيزارو : سيحضر الوزير للتفتيش على القلعة . غير انه لن يتمكن من اكتشاف فلورستان ذلك الذى سآمر بقتله قبل أن يصل الى هنا !

ثم يصدر أمره بتشديد الحراسة على الطريق الموصل الى اشبيلية ، وبأن يقف جندى فى أعلى البرج لينفخ فى النفير عندما يرى ركب الوزير قادما من بعيد .

وما أن ينصرف الجنود من الفناء ، حتى يظهر فيديليو وهو ينصت فى اهتمام زائد من خلف أحد الأبواب الجانبية ؛ وفى هذه اللحظة ينادى المأمور الحارس روكو ويقول له :

دون بيزارو : هاك كيس من الذهب ، وسوف يكون لك أكثر ان أطعت أوامرى .

روكو : وماذا عساى أن أفعل ؟

دون بيزارو : هناك بعض أسباب تتعلق بشئون بالدولة تحتم علينا أن نقتل أحد المسجونين هنا فى الحال . لقد ارتكب خيانة !

روكو : سيدى ، اننى لا أؤجر للقتل !

دون بيزارو : انك لجبان ! وان تخلت عنك شجاعتك فسوف أقوم بالمهمة بنفسى . والآن اذهب الى السجين فى السرداب واحفر له قبرا فى البئر المهجورة . أفهمت ؟ وسوف ألحق بك متنكرا واضع حدا لحياته . هيا اذهب ونفذ ما أمرتك به !

وما أن يخرج الرجلان من الفناء حتى يظهر فيديليو وهو

يلاحق دون بيزارو بنظراته ويقول لنفسه بصوت خفيض :
ـ أيها الوحش ! أليس من رحمة فى قلبك ؟
ان كل ما سمعه خلسة يؤكد له تأكيدا قاطعا ان السجين ليس سوى فلورستان . ومع ذلك ، فانه لا يستطيع أن يقطع بصحة ما يعتقد الا حينما ينزل مع الحارس روكو ويرى السجين بنفسه . .
ـ أيها الأمل ، لا تتخل عنى ، بل قدنى الى ما أريد !
ثم يمضى الى الحديقة .
وهنا تظهر فى الفناء مارزلين ومعها السجان الشاب جاكينو الذى يلاحقها دائما ويتودد اليها .
وتجيب مارزلين الشاب بقولها :
مارزلين : اننى لا أنكر حبى لك فى يوم من الأيام ، غير أن فيديليو يستهوينى الى حد بعيد .
ثم يعود فيديليو الى حيث يقابل روكو ويقول له :
فيديليو : أيها الأب الطيب ، لطالما رجوتك أن تسمح للمسجونين بالتنزه فى الحديقة . والجو اليوم صحو . ألا تبر بوعدك ؟
روكو : نعم يا فيديليو . وأنا ذاهب الآن الى المأمور لأسأله ان كنت تعمل معى فى المعتقل .
وينصرف روكو ، فيفتح فيديليو وجاكينو أبواب الزنزانات طالقين سراح المسجونين الذين لم تر أعينهم ضوء النهار منذ أن زج بهم فى غياهب القلعة !
واذ ينطلق المسجونون الى الحديقة ونفوسهم يشع فيها الفرح ، يتبعهم مارزلين والسجان . غير أن فيديليو يبقى فى الفناء . وفى النهاية يبصر روكو عائدا من منزل المأمور فيسأله فى لهفة :
فيديليو : ما وراءك من أنباء ؟

روكو : أجابنى الى طلبى . وسوف تنزل معى الى أعماق السجن ـ ولكن لا تتفوه بكلمة واحدة لأحد . وعلينا أن نقوم الآن بالحفر !

وفجأة تظهر مارزلين وهى تعدو وتلهث من فرط التعب .

مارزلين : أبى ! .. كن على حذر . فان المأمور قادم من الحصن !

وما أن ينتهى السجان جاكينو من اعادة المسجونين الى زنزاناتهم ، حتى يظهر المأمور ويسأل فى حدة :

دون بيزارو : أيها الأحمق ، كيف تجرؤ على اطلاق سراح هؤلاء الرجال ؟ !

ثم يردف هامسا :

دون بيزارو : اذهب الآن ونظف صهريج المياه . فليس هناك وقت يمكن أن نضيعه !

وينصرف المأمور ، فيغلق جاكينو الزنزانات ، بينما يتبع فيديليو الحارس روكو فى صمت حزين وقد حمل فى يده مصباحا وبعض الآلات .

وينزل فيديليو الى أعماق السجن .. الى حيث لا يعلم كيف ينتهى أمر فلورستان السجين !

الفصل الثانى

النظر الأول ـ المعتقل

يجلس السجين فلورستان فى زنزانته المعتمة مكبلا بالأغلال يفكر فى زوجته ليونور (فيديليو) ويسترسل مع ذهنه الشارد فى الخيال .

وفجأة يفتح باب المعتقل وينزل على السلم الحارس روكو ومعه فيديليو . ويحملق فيديليو فى السجين عله يتعرف

عليه ، غير أن شدة الظلام تحول بينه وبين تحقيق ما يريد . وسرعان ما يرتعد حينما يسمع صوت السجين وهو يتأوه ويتأود الما . انه فلورستان !

فلورستان : اعطنى جرعة من الماء !

وعلى الرغم من الأوامر المشددة ، فان روكو لا يتردد فى اجابة السجين الى طلبه ، فيناوله كأسا من الخمر ، ثم ينصرف الى حفر القبر . وما أن يفرغ من ذلك حتى ينفخ فى صفارته بطريقة خاصة فيحضر المأمور على الأثر وقد أمسك فى يده خنجرا حادا . وهنا يتقدم فيديليو فيعترض طريقه . ولكن المأمور يدفعه بيده ويصيح غاضبا :

ـ اليك عنى أيها الغلام الوقح ! .

ويقف فيديليو (ليونور) أمام فلورستان ليحميه ويقول :

ـ اننى زوجته !

ومرة أخرى يتقدم المأمور شاهرا مسدسه .

وفى هذه اللحظة يسمع صوت نفير . انه علامة وصول وزير العدل !

ويصيح الحارس روكو فى ارتياح :

ـ شكرا يا الهى !

ثم يتبع المأمور الى الفناء ، بينما تبقى ليونور (فيديليو) مع زوجها السجين .

المنظر الثانى ـ أحد أبراج القلعة

يصل « دون فيرناندو » وزير العدل ليتفقد شئون القلعة ، فيهتف له أهالى المدينة والمسجونون . ويعلن الوزير قائلا :

ـ سوف أساعدكم جميعا بكل طريقة أستطيعها .

ويتقدم روكو موغلا فى غمار الزحام ومن خلفه ليونور وزوجها فلورستان . ويقول الحارس :

روكو : اذن ساعد هاتين الضحيتين !
ويحملق الوزير فى السجين فلورستان وقد تملكته الدهشة :
الوزير : فلورستان ! أنت يا من ظننتك فى عداد الأموات .. وليونور ؟!
دون بيزارو : اسمح لى أن أشرح ..
ولكن الوزير يمنعه من الكلام قائلا :
ـ لا تتفوه بكلمة واحدة !
ثم يلتفت الى ليونور ويقول لها :
ـ أيتها الزوجة النبيلة ، هاك المفاتيح التى تفكين بها أغلال زوجك . فلن يحرره من الأسر سواك !

ستار

رتشارد شتراوس

سالومی

Richard Strauss

SALOME

« سالومى » دراما موسيقية فى فصل واحد . ترجمها الى الألمانية « هدفيج لاخمان » Hedwig Lachmann من مسرحية للكاتب الايرلندى « أوسكار وايلد » Oscar Wilde ، ووضع موسيقاها الموسيقى الألمانى « رتشارد شتراوس » Richard Strauss . وقد قدمت لأول مرة فى « درسدن » عام ١٩٠٥ .

شخصيات الأوبرا :

نارابوث : ضابط سورى شاب	**Narraboth**
يوحنا المعمدان	**Jochanaan**
سالومى : ابنة الملكة	**Salome**
هيرودس : ملك ولاية « اليهودية »	**Herod**
هيروديا : زوجته ووالدة سالومى	**Herodias**
خمسة من اليهود	
اثنان من الناصريين	

زمن الأوبرا : عام ٣٠ قبل الميلاد .
المكان : ولاية « اليهودية » بفلسطين .

AUC - LIBRARY

المنظر ـ الشرفة الكبرى بقصر الملك هيرودس

يجوس القمر بين طوايا الغمام ، ثم لا يلبث أن يخرج الى الأفق ساطعا مضيئا كأنه كرة من النور تتقاذفها السحب ، فى حين يمشى الضابط الشاب نارابوث متخطرا فى الشرفة ، يرمى ببصره الى القاعة التى أقيمت فيها الوليمة . واذ يقع بصره على الأميرة سالومى يقول فى نجواه :

ـ كم هى رائعة الليلة !

وغير بعيد من نارابوث يقوم جنديان بالحراسة . والى الجانب الآخر يقف أحد خدم الملكة هيروديا .

ويقول الخادم للضابط محذرا :

ـ لقد أطلت النظر الى سالومى ! ان شيئا مخيفا سوف يحدث !

وفجأة يسمع صوت صارخ مفزع ينبعث من مستودع مياه فوق الشرفة :

ـ سوف يأتى بعدى من هو أعظم منى . وعندما يأتى ستبصر العيون التى لا ترى ، وتسمع الآذان التى لا تعى !

ويسأل أحد الجنود وقد اعترته الدهشة :

ـ من ذا الذى يتكلم ؟

ـ رجل قديس من الصحراء اسمه يوحنا .

ويتملك الضابط نارابوث اضطراب ظاهر ثم يصيح وهو يقترب من الجنود :

ـ لقد غادرت الأميرة المائدة ، وها هى ذى آتية !

وتظهر سالومى فى الشرفة . انها آية رائعة من آيات الجمال ، تنبض بالفتنة والحيوية ، وتزهو فى أفخر رداء . وتغمغم الأميرة قائلة :

ـ لا أستطيع البقاء فى الداخل . فان زوج أمى هيردوس لا يحول نظره عنى !

وتبقى سالومى فى الشرفة تستنشق نسمات الليل المنعشة . غير أن هدوءها لايلبث أن يقطعه صوت يوحنا وهو يدعو الى تعاليم المسيح .

وهنا تتوجه الى الجنود وتقول لهم فى صوت حازم :

ـ احضروا الى هذا الرجل !

ـ اننا لا نجرؤ ، فذاك محظور علينا !

ولكن الأميرة التى لا تريد أن يثنيها عن عزمها شىء ، تنظر الى الضابط نارابوث نظرة يتساقط منها الاغراء وتقول له :

ـ انت ستفعل هـذا من أجلى يانارابوث ! وغدا ، عندما أكون فى طريقى الى مضجعى ، ربما ابتسمت اليك !

ولا يسـع الضابط الشـاب الا أن يستسـلم لرغبتهـا ويخالف أمر هيرودس . ومن ثم يصدر أمره الى يوحنا القابع داخل صهريج المياه بأن يغادره على الفور . ويخرج يوحنا فى حركة وئيدة من صومعته المظلمة ، الى الشرفة التى ينساب عليها ضوء القمر .

وفى رداء خشن متواضع يقف القديس على حافة الصهريج شاحب الوجه ، مجمد الشعر . واذ يشعر بسالومى تحملق فيه يسأل :

ـ من هذه المرأة ؟

وتجيب الأميرة :

ـ سالومى ، ابنة هيروديا !

ـ اليك عنى ! .. فلقد ملأت أمك الأرض عارا !

وتنصت سالومى فى شـغف زائد الى كلام يوحنا . ثم تتوسل اليه :

ـ تكلم ثانية يا يوحنا ! ان صـوتك ينساب الى أذنى كالموسيقى !

وهنا تتأجج نار الغيرة فى قلب الضابط الشاب ، فيطلب

من الأميرة فى ضراعة أن تعود الى القاعة التى فيها الوليمة .
غير أن سالومى تتجاهله وتوجه كلامها الى يوحنا :

سالومى : يوحنا ! .. ان جسدك هو الذى أطلبه !

ويصيح القديس مستنكرا :

يوحنا : كفى ! فلن استمع اليك !

سالومى : اننى لا ابغى جسدك ، بل شعرك ! فهو يشبه عنقودا من العنب فوق عرائش «سدوم» !

ويصرخ يوحنا مرة ثانية أمام ذلك الاغراء الذى بدا يكتسحه اكتساحا . واذ يحاول الابتعاد ، تعترض طريقه سالومى وتعود الى اغرائها والشهوة تنطلق من عينيها .

سالومى : يوحنا ! لابد أن اقبل شفتيك !

وهنا لا يقوى الضابط الشاب على احتمال مايرى ، وكأنه مرجل يغلى بالانفعال ، فيطعن نفسه بخنجره طعنة يسقط على أثرها بين يوحنا وسالومى وقد فارق الحياة !

غير أن سالومى لا تزال مندفعة فى تيار شهواتها الجارف وتصر على تقبيل يوحنا. فيقول لها والجزع يرعش أطرافه:

يوحنا : يا ابنة الخطيئة ، ان أمامك فرصة واحدة للخلاص . اذهبى وابحثى «عنه» على بحر الجليل واطلبى منه الصفح .

وتثبت سالومى عينيها فى وجه يوحنا ثم تقول له بصوت ثمل يبعث على الاغراء :

سالومى : شفتيك يا يوحنا ! لابد أن اقبل شفتيك !

ويصيح يوحنا فى احتجاج صارخ :

ـ مطلقا ! مطلقا ! انك ملعونة يا سلومى !

ثم يعدو مسرعا الى صومعته ويختفى فيها بعد أن يغلق دونه بابها الحديدى .

لكن سالومى تلحق به وتقف عند حافة الصومعة . واذ

ترمى ببصرها الى الظلام الحالك الذى يملأها تطلق ضحكة مغصوبة ساخرة .

وهنا تسمع أصـواتا قادمة من قاعة الاحتفال فتختبىء وراء الصهريج . ويظهر هيرودس فى الشرفة وهو يترنح من فرط الشراب وقد سارت الى جانبه زوجته هيروديا ومن ورائها بعض الاتباع .

ويصيح هيرودس متسائلا :

ـ أين سالومى ؟ لماذا لم تعد الى الوليمة ؟

وتجيب هيروديا محتدة :

ـ يجب الا تنظر الى ابنتى ! انك دائما تبحث عنها !

ولا يعبأ هيرودس باحتجاج زوجته فيجول ببصره عسى أن تقع عينه على بغيته . وفجـأة يبصر نارابوث ملقى على الأرض وقد فارق الحياة فيرتد الى الخلف مذعورا ، ويخيل اليه انه يسمع صوت أجنحة تخفق بسرعة .

وتقول له زوجته ساخرة :

ـ انك مريض . دعنا ندخل القصر .

ويجيب هيرودس فى انفعال ظاهر :

ـ لست مريضا !

لقد وقعت عينه على سالومى وهى مختبئة . ثم هو يتقدم منها ويدعوها الى تناول الخمر معه . واذ ترفض طلبه ينبعث صوت صارخ من أعماق الصهريج يتنبأ بانتهاء الشر .

وتصيح هيروديا خائفة :

ـ مره أن يصمت ! لم لا تسلمه الى اليهود ؟

ويجيب هيرودس زوجته قائلا :

ـ لقد قلت لك من قبل انه رجل مقدس رأى الله !

وتسود موجة من التذمر والاحتجاج بين اتباع هيرودس من اليهود :

ـ ان أحدا لم ير الله منذ زمن النبى ايليا !
ويقول اثنان من الناصرين من تلامذة المسيح :
ـ أن المسيح موجود على الأرض ويقوم بعمل المعجزات فى «الجليل» . ولقد أقام حتى الأموات !
ويتساءل هيرودس هامسا فى خوف :
ـ أقام الأموات ؟ ان هذا لايجب أن يكون . اننى أمنعه !
ومرة أخرى ينطلق صوت يوحنا فى سيل من الغضب والوعيد .
وتصيح هيروديا الى زوجها :
ـ مره أن يصمت !
غير أن هيرودس لا يعبأ بطلبها . فان انتباهه موجه الى سالومى وحدها .

هيرودس : ارقصى لى ياسالومى !

سالومى : وهل تمنحنى أى شىء أطلبه ؟

هيرودس : أى شىء !

وبعد أن تستخلص سالومى من هيرودس الوعد المطلوب تتأهب للرقص . وينهض هيرودس من على عرشه وكأنه ثمل من فرط النشوة التى طغت على جوارحه . ومرة أخرى يسمع صوت أجنحة تخفق بسرعة . ثم تحل برأسه الذى أثقله الشراب حمى ملتهبة تجعله يترنح فى مشيته ويلقى بأكليل الزهر الذى يتوج جبينه .
وتتقدم الأميرة الراقصة وهى تميس فى ثوب حريرى يبهر الأنظار ، تصاحبها فى حركاتها الفاتنة موسيقى مثيرة ساحرة ، ثم تبدأ فى خلع ثيابها قطعة قطعة امعانا فى الاغراء .
وتقف سالومى لحظة أمام الصهريج الذى سجن فيه يوحنا . واذ تخلع آخر ما تبقى على جسدها ، تلقى بنفسها تحت قدمى هيرودس .

ويسألها الملك :

هيرودس : أيتها الأميرة الفاتنة ! اطلبى ما تشائين !

سالومى : اننى أطلب رأس يوحنا على طبق من الفضة !

ويصعق هيرودس لهذا الطلب .

هيرودس : كلا ! أى شىء غير هذا . سوف أعطيك مجوهراتى الثمينة .. طواويسى البيضاء ـ حتى طنافس المعد !

ولا يروق هـذا الكلام الفاضح فى نظر اليهود فيغادرون القصر .

وتصر سالومى على طلبها قائلة :

ـ أريد رأس يوحنا ! لقـد أعطيت عهـدا أيهـا الملك !

وبعد لأى يقبل هيرودس ...

وترتسم ابتسامة سافرة على شفتى الملكة هيرودبا التى طالما هاجمها يوحنا لاستهتارها . ثم تخلع من أصبع زوجها « خاتم الموت » وتسلمه الى الجلاد !

وينزل الجلاد حاملا سيفه الى حيث يوجـد يوحنا ، ثم يطبق على المكان سكون رهيب .

وفجأة تصيح سالومى :

ـ لم لا تضرب ؟ أرسلوا جنودا آخرين !.. احضروا الى رأس يوحنا !

وبعد قليل تظهر يد الجلاد من أعلى الصهريج حاملة طبقا عليه رأس يوحنا !

وتصيح الأميرة فى فرح جنونى :

ـ آه ! سوف لاتقاسى شفتاك من تقبيلى يايوحنا . فأنت الآن فى عداد الأموات ،وأنا ـ التى ما زلت حية ـ سـوف أحقق رغبتى !

وهنا ينظر هيرودس الى زوجته والذعر يقفز من عينيه :

ـ هيا ، فلندخل القصر .

ثم ينادى عبيده ويأمرهم باطفاء المشاعل .
ويخيم على الشرفة ظلام وحشى دامس ..
وينبعث صوت سالومى خافتا متهدجا مذبوحا :
ـ آه يا يوحنا ! لقد قبلت فمك !.. وكان هناك طعم لاذع على شفتيك ! ترى هل كان ذلك طعم الدم أم طعم الحب!
وتطغى على سالومى فكرة الانتصار فتقول فى صوت مروع :
ـ ولكن ماذا يهم الطعم اللاذع ؟ وماذا يهم الحب ؟ يوحنا !... لقد قبلت شفتيك !

ويجوس القمر بين طوايا الغمام ، ثم لايلبث أن يخرج الى الأفق ساطعا مضيئا ، فيكشف عن سالومى وهى تقبل رأس يوحنا ..

وحينئذ يصيح هيرودس قائلا :

ـ اقتلوا تلك المرأة !

ويحيط الجنود بسالومى ثم يرفعون عليها سيوفهم فتسقط على الأرض .

ستار

كرستوف جلوك

أرفيو وإيريديس

Christoph Gluck

ORFEO ED EURIDICE

تعتبر هذه الأوبرا خير ما يمثل اتجاه الموسيقى الألمانى « كرستوف جلوك » Christoph Gluck فى أن يجعل من الأوبرا مزيجا متوافقا من الموسيقى والدراما والبالية . وقد بنيت على قصة خرافية كتبها باللغة الايطالية ـ وفقا لما كان يجرى فى ذلك العصر ـ الكاتب الايطالى «كالزابيجى» Calzabigi ، وقدمت لأول مرة على مسرح فينا بالنمسا عام ١٧٦٢ .

شخصيات الأوبرا :

أرفيو : مغنى	Orfeo
آمور : اله الحب	Amor
ايريدس : زوجة أورفيو	Euridice
آلهـة	
أرواح	
حراس معبد الحب	

زمن الأوبرا : خرافى

المكان : اليونان والعالم السفلى

الفصل الأول

المنظر ـ مقبرة ايريديس

انطفأت جذوة الحيـاة فى « ايريديس » الشابة على غير انتظار ، فأذهلت هـذه الصـدمة المفجعة زوجهـا المغنى «أرفيو» وانقصت قدرته على الغناء ، وأصبح كل ما يقوى على التفوه به هو كلمة «ايريديس » ، يطلقها بين الحين والحين فى يأس قاتل وحسرة موجعة .

ويتجمع لفيف من الشبان والفتيات حـول قبر الزوجة الراحلة لينشدوا أنغاما حزينة . وفى النهاية يجد أرفيو من الكلمات ما يسعفه على التعبير عن حزنه ، فيقول وهو ينشج بالبكاء :

ـ أصدقائى ! ان نحيبكم يزيد من ألمى ! هيا نمجد ايريديس بأن ننثر فوق قبرها الزهور !

وفى سكون مطبق رهيب يقوم الاصـدقاء بعمل الشعائر التقليـدية التى تقام للأموات . فتنثر الزهور حول القبر ، وتطفأ المشاعل، ثم يمضى المحتفلون وقد أغرقوا فى حزن عميق.

ويغادر أرفيو المكان بخطوات وئيدة متثاقلة وهو ينتحب ويردد أسم ايريديس عسى أن تستجيب لندائه وتقوم من بين الأموات . غير أنه لايسمع الا رجع صوته يدوى صارخا كئيبا فى أعماق الوادى .

ويصيح الزوج المفجوع :

ـ أيتها الآلهة عديمة الرحمة ! لابد أن أرى عروسى مرة أخرى ! ولسوف لا يحول بينى وبينها حائل حتى ولو كان أبواب الجحيم !

وهنا يسمع صوتا واضحا آتيا من أعلى يناديه :

ـ اذن فاذهب !

وينظر أرفيو فى دهشة ليرى « آمور » اله الحب منتصبا أمامه وقد أمسك قيثارة ذهبية .

ويأمر اله الحب أرفيو قائلا :

ـ انزل الى العالم السفلى ، واجعل صوتك وهذه القيثارة يؤثران فى حكام الأموات . ولسوف تعود ومعك ايريديس !

ويسأل أرفيو فى ضراعة :

ـ اواه .. مرنى ! ماذا على أن أفعل بعد ذلك ؟

فيجيب اله الحب محذرا :

ـ عليك ألا تحملق فى زوجتك قبل أن تصل الى الأرض ، وألا فقدتها الى الأبد !

وهنا يقول أرفيو فى نجواه :

ـ واحسرتاه ! كم سيكون حزنى عندما أجد ايريديس ولا أستطيع النظر اليها ! ولكن الآلهة قد تكلمت ، ولسوف أكون شجاعا !

ثم يقبض على القيثارة الذهبية ويمضى وسط البرق والرعد باحثا عن الطريق الى العالم السفلى .

الفصل الثانى

المنظر ـ أبواب العالم السفلى

تحتشد الأرواح الشريرة أمام أبواب الموت . وهى حينما تثور لا يقوى على كبح جماحها شىء ، وعندما تهدأ لتستريح يخيم عليها يأس قاتم .

وفجأة يغزو مملكة الظلام صوت ينبعث من قيثارة قريبة . ان الزوج البائس قد وصل !

ويقف أرفيو على مرتفع شاهق وينظر الى الأعماق السحيقة الممتدة من تحته ثم يتوسل قائلا :

ـ أيتها الآلهة ، دعينى أمر ! اشملينى برحمتك !

ويأتيه الرد مصحوبا بقصف رعد شديد :
ـ كلا !
ويحاول أرفيو أن يخفف من غضب الآلهة قائلا :
ـ انى أعلم انك تقاسين مرارة التعذيب ، وان مصائرك قاسية . غير أن مصيرى كذلك اقسى من أن يحتمل . فلقد فقدت من أحبها !
وفى النهاية تلين قلوب الآلهة امام توسلات أرفيو المتلاحقة ، فتصدر أمرها قائلة :
ـ افتحوا الأبواب ، واسمحوا له بأن يدخل الى عالم الأموات !

ويتفقد أرفيو الطريق أمامه ، ثم ينزل الى حيث توجد الأرواح الشريرة وهى تزأر . وتحوم الأرواح حوله وهى تأتى بحركات مروعة مخيفة ، ولكن أرفيو لا يحرك ساكنا .
ويحتمل الزوج المنكوب كل أذى فى سبيل الوصول الى زوجته !

الفصل الثالث

المنظر ـ حقول الجنة

تقوم الأرواح الطاهرة بعدة رقصات فى نشوة ومرح ، وتغنى احدى الأرواح أغنية عن بهجة الموت بعد أن تعلن قائلة :
ـ لقد تبددت أحزاننا ، ولم يتبق لنا سوى النعيم !
وبينا الحقول يشع منها الجذل والسعادة ، يظهر أرفيو وقد ارتسمت على محياه علامات الدهشة فيصيح متسائلا :
ـ ما أنقى هذا الضوء ! وأى مروج باسمة هذه ! هل حقا سأجد حبيبتى هنا ؟
وتصيح أصوات لايتبين مصدرها منادية :
ـ أرفيو ! ان ايريديس قريبة منك !

وهنا يتقدم شبح على وجهه خمار تحيط به أرواح طاهرة . انه شبح ايريديس !

ويحاول أرفيو جاهدا أن يسيطر على الفرح والألم اللذين يعتملان فى صدره فى آن واحد فيحول نظره عن زوجته .

واذ ترفع الأرواح الحجاب عن وجه ايريديس ، يمسك أرفيو يدها وتبدأ رحلتهما الى الأرض .

الفصل الرابع

المنظر الأول ـ كهف فى الطريق الى الأرض

تفشل ارادة أرفيو فى اجتياز الامتحان القاسى الذى فرضته عليه الآلهة . ففى طريقه عائدا مع زوجته من مملكة الموت ، تؤنبه ايريديس طوال الوقت قائلة :

ـ لماذا أنت غير مكترث هكذا ؟ واحسرتاه ! لقد كنت أكثر سعادة فى مملكة الأموات !

ولا يقوى أرفيو على احتمال لوم زوجته ، فيأخذها بين يديه ويضمها الى صدره . وفى الحال يظهر على وجهها شحوب الموت ، ثم تهمس اليه وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة :

ـ وداعا ! ... الا فاذكر ايريديس !

ويصيح أرفيو منتحبا :

ـ لقد فاضت روحها ! ماذا عساى أن أفعل بدونها !

ثم يعقد عزمه على ألا يعيش من بعدها ، فيهم برفع خنجره ليطعن به نفسه . **ولكن صوتا ينبعث من بين السحب لا يلبث أن يستوقفه . انه صوت آمور ـ اله الحب ـ الذى ظهر لينهيه عن فعلته صائحا :**

ـ كفى ! فلقد تحملت أكثر مما يجب ، وسوف تكون لك ايريديس !

ويصدر اله الحب اشارة تنهض على أثرها ايريديس

من على الأرض وتعانق زوجها . ولا يسع أروفيو أزاء هذا الفضل الذى غمره به آمورالا أن يعلن أنه وهب نفسه لعبادة «آمور» الرحيم !

المنظر الثانى ـ حدائق معبد الحب

فى مكان مرتفع من حديقة نضرة غناء يقع معبد الحب .. وفوق درجاته ـ التى يحف بها من كلا الجانبين أشجار السرو ـ يقف تلاميذ آمور ينتظرون مقدمه .

وفى النهاية يصل اله الحب متقدما أرفيو وزوجته ايريديس. وما أن تقع أعين التلاميذ على الحبيبين اللذين وحد بينهما الحب مرة ثانيـة ، حتى ينخرطوا فى رقصـات ثملة مرحة رائعة .

وبينا الزوج المخلص وزوجتـه يكللان بالأزهار ، يعـلن التلاميذ عن اخلاصهم ووفائهم الى الههم فيقولون منشدين :

ـ يا اله الحب ، دام ملكك الى الأبد ! ..

ستار

جیوسپی فردی

لا ترافیـــاتا

Giuseppe Verdi

LA TRAVIATA

تقوم هـذه الأوبرا على مسرحيـة « غادة الكاميليـا » La Dame aux Camélias للكاتب الفرنسى «الكسندر دوماس » (الابن) Alexandre Dumas . وهذه المسرحية التى تعرف اليوم باسم «كاميليا» Camille اقتبسها «دوماس» بدوره من قصـة له تحمل نفس الاسم ، وهى القصة التى أثارت عاصـفة من الاعجاب عند ظهورها عام ١٨٤٨ . وقد استوحى دوماس قصته من واقع الحياة : فقد كانت هناك غانية فرنسية تدعى «الفونسين بليسيس» Alphonsine Plessis ظلت تعيش عيشة عبث وصخب حتى ماتت بالسل عام ١٨٤٧ .

وقد نظم كلمات الأوبرا «فرانشسكو بيافى» Francesco Piave ووضع ألحانها الموسـيقى الايطالى المعروف « جيوسيبى فردى » Giuseppe Verdi وكلمة « لاترافياتا » بالايطاليـة معناها « الضالة » أو «الساقطة» .

شخصيات الأوبرا :

Violetta — **فيوليتا** : غانية عابثة

Flora — **فلورا** : صديقتها

Vict. Gastone — **الفيكونت جاستون** : من نبلاء فرنسا

Alfredo — **الفريدو** : شاب باريسى ، وعاشق فيوليتا

Baron Douphol — **البارون دوفول** : غريم الفريدو

Giorgio Germont — **جورجيو جيرمون** : والد الفريدو

Dr. Grenvil — **الدكتور جرنفيل** : طبيب فيوليتا

زمن الاوبرا : حوالى عام ١٨٥٠

المكان : باريس

الفصل الأول

المنظر ـ غرفة استقبال فى منزل فيوليتا

ترفع الستار عن فيوليتا الغانية الجميلة وهى تستقبل مدعويها للحفل الذى اقامته لهم . وبعدقليل تصل صديقتها «فلورا» فتقف بجوارها وتسألها :

فلورا : ترى هل يسرك الحفل الذى تقيمينه اليوم ؟

فيوليتا : ان السرور هو الدواء الوحيد لما بى من علل وأسقام !

ثم يدخل «الفيكونت جاستون» وبصحبته صديق شاب يدعى «الفريدو» . واذ يقدمه الى فيوليتا يقول لها :

الفيكونت جاستون : ان هذا الشاب معجب بك . ولقد كان يأتى كل يوم للسؤال عنك أثناء مرضك .

وتدعو فيوليتا ضيوفها للرقص فى القاعة . ولكن سرعان ما تنتابها نوبة المرض ، فتلقى بنفسها فى تهالك على الأريكة . ويتجمع حولهاكثيرون لمساعدتها . غير أنهاترجوهم الانصراف للرقص ، مؤكدة أنها سوف تلحق بهم بعد قليل .

وتنبعث أنغام الموسيقى الراقصة من القاعة ، فى حين تبقى فيوليتا وحيدة فى الغرفة ، تنظر الى وجهها الشاحب فى المرآة .

وهنا يقترب منها «الفريدو» قائلا :

الفريدو : ان هذه الحياة التى تعيشينها سوف تقضى عليك . لكم تمنيت أن تكونى ملكا لى لأحافظ عليك !.. دعينى أبوح لك بحبى الذى نبت فى قلبى منذ عام مضى !..

ويمضى الحبيب الوله يسرف فى التعبير عن شعوره نحوها ويسكب فى أذنيها كلمات عذبة لم تتعود سماعها من قبل . لكن فيوليتا ترتاب فى اخلاصه .

فيوليتا : يخيل الى أنك ستنسانى سريعا !
ثم تقدم اليه وردة وهى تردف قائلة :
فيوليتا : ردها الى اذا ذبلت !
ويقبل الفريدو يدها ثم ينصرف . وهنا يقبل المدعوون يستأذنون فى الانصراف ثم يغادرون الغرفة ..

.. ويوشك الفجر أن يطل من السماء وفيوليتا جالسة تفكر فى ذلك الشعور الجديد الذى بدأ يجتاحها . ترى هل أحبت ذلك الشاب الذى جاء يعرض حبه عليها ؟..
أنها لأول مرة تعثر على الشخص الذى يحب روحها دون أن يطمع فى جسدها !

الفصل الثانى

المنظر ـ حديقة فى منزل فيوليتا بالريف

تمضى فيوليتا مع حبيبها الفريدو ثلاثة شهور فى منزلها الريفى قرب باريس ، بعيدا عن حياة العاصمة الصاخبة الساطعة . وهى الآن تسأل خادمتها اذا كانت قد رأت الفريدو منذ خرج فى الصباح ، فتجيب الخادمة بالنفى وتضيف أن بالباب زائرا .

ولشد ما تكون دهشة فيوليتا عندما يتقدم منها الزائر ويقول انه والد الفريدو :
ـ ان ابنى الآن فى طريقه الى الدمار . انه يهب لك تدريجيا كل ما يملك !
ويعز على فيوليتا هذا القول ، فتبرز له أوراقا تثبت انها تبيع مجوهراتها للانفاق على حبيبها . ثم تزيد قائلة :
فيوليتا : اننى أحب الفريدو ، وأشعر بأن الله قد صفح عنى بعد أن سلكت طريق التوبة !
والد الفريدو : ولكنك تحولين دون سعادة ابنتى . فهى

لن تتزوج ما لم تطلقى سراح الفريدو وتخلصى اسمنا من هذا العار !

فيوليتا : انك ياسيدى لا تعرف مقدار حبى لالفريدو !

ويظل الأب يتوسل اليها أن تتنازل عن حبها ، فتضحى فى النهاية بسعادتها فى سبيل سعادة أخت الفريدو التى توشك على الزواج . ثم تترك خطابا لحبيبها وتغادر القرية الى باريس لتعود مرغمة الى حياتها الأولى .

ويعود الفريدو من الخارج فيكتشف رحيل فيوليتا ،ويعلم أنها ذهبت الى منزل صديقتها فلورا فى باريس . يعلم ذلك من دعوة موجهة اليه هو وفيوليتا ، فيظن أنها تركته لحنينها الى سيرتها الأولى !

الفصل الثالث

المنظر ـ شرفة فى منزل فلورا بباريس

تقول فلورا لمدعويها فى الحفل الذى أقامته لهم انها أرسلت دعوة لفيوليتا والفريدو لحضور الحفل . ولكن أحد المدعوين يتساءل :

ـ هلا وصلتكم الأخبار ؟ .. لقد افترقا !

وتتعالى أصوات المغنيات اللاتى أحضرتهن فلورا لاحياء الحفل ..

وفجأة يظهر الفريدو الذى جاء يتعقب حبيبته ظنا منه أنها هجرته بعدأن ملت عشرته . ثم يتقدم من جماعة المقامرين وينضم اليهم .

وفى هذه اللحظة تدخل فيوليتا وقد أمسكت بذراع «البارون دوفول » ،الذى لا يكاد يقع بصره على الفريدو حتى تتأجج فى صدره نيران الغيرة ويحذرها من التحدث اليه !

ومرة أخرى تنبعث من الداخل صيحات المرح والضحك والغناء .

ويثير حظ الفريدو فى اللعب حقدالبارون دوفول فيدعوه للنزال ! ولكن الفريدو يهزمه هزيمة ساحقة فيقول البارون متحديا :

البارون دوفول : سوف أنتقم لنفسى مرة ثانية !

ويقبل الفريدو تحديه . وبعد قليل ينصرف المدعوون لتناول العشاء .

وهنا تدخل فيوليتا وقد تملكها قلق شديد . لقد أتت لتحذر الفريدو من المبارزة مع البارون حرصا على حياته . لكن الفريدو يجيبها قائلا :

الفريدو : سوف لا أنسحب إلا اذا عدت معى !

فيوليتا : ولكننى أقسمت ألا أراك !

الفريدو : ومن الذى اضطرك الى هذا القسم ؟ ..البارون دوفول ؟

ولا يسع فيوليتا الا أن تخفى عليه الحقيقة فتجيب مرغمة:

ـ نعم !

وهنا تنتاب الفريدو ثورة جامحة ، فيدعو جميع المدعوين ويقول لهم صائحا كالمجنون :

الفريدو : هذه هى المرأة التى أنفقت على كل ثروتها ...

والآن ، اشهدوا على أننى أوفيت لها كل ديونى !..

وفى حركة عصبية حانقة يلقى بحافظة نقوده على الأرض .

الفصل الرابع

المنظر ـ غرفة النوم بمنزل فيوليتا

تعتزل فيوليتا حياة الصخب والسمر وتقطن فى مسكن متواضع فى أحد أحياء باريس الفقيرة . وهى الآن مريضة

استشرت الحمى فى جسدها ، فرقدت تنتظر وصول الطبيب الذى يقوم على علاجها . ويقبل الطبيب فيعاونها على النهوض من الفراش وهو يقول لها :

الطبيب : تشجعى ، فسوف تبرئين عن قريب !

لكن فيوليتا تدرك انه انما يموه عليها الحقيقة ، فتشكره وترجوه أن يتركها بمفردها .

ويكون الفريدو قد علم بحقيقة كل ماحدث ، وبأن فيوليتا انما هربت من أجله ، فيأتى ليستغفرها . وتحاول المريضة أن تنهض عندما تراه ، ولكن قواها تخور فتتهالك ثانية على الفراش . ويرتاع الفريدو لمنظر حبيبته الذابلة ، فيطلب من الخادمة أن تستدعى الطبيب على الفور . ولكن فيوليتا تمنعه قائلة :

فيوليتا : اذا كان مجيئك لاينقذنى ، فليست هناك قوة فى الوجود قادرة على انقاذى !

ثم تستجمع قواها ، وتنهض وهى محمومة من الفراش . واذ تنجح فى التحامل على قدميها ، تبتهل الى الله الا يدعها تموت فى مثل هذه السن الباكرة .

وفى هـذه اللحظة يدخل والد الفريدو . لقد تبين ما فى فعلتها من سمو ونبل ، فجاء يطلب منها أن تعيش معه كابنة له .

فيوليتا : وا أسفاه !.. لقد جئت متأخرا ..

ثم تقدم اليه صورتها وتستطرد قائلة :

فيوليتا : اذا تزوج الفـريدو فى يوم من الأيام ، فقـدمها لزوجته ، وقل لها ان صاحبتها تدعو لهما بالتوفيق !

وهنا يظهر الطبيب بالباب ، فتصيح فيوليتا وهى فى سكرة الموت :

فيوليتا : غريب ذلك الشعور الذى أحس به الآن ! ... اننى أحس قوة جديدة .. انهـا الحياة تسرى فى بدنى من جديد ...

ثم تطلق صيحة ترتمى بعـدها على الأرض وقد فارقت الحياة ...

ستـار

دونیزتی

لوتشیا دی لامیرمور

Donizetti

LUCIA DI LAMMERMOOR

«لوتشيا دى لامرمور» مأساة غنائية مقتبسة من رواية كتبها الروائى الاسكتلندى « سير وولتر سكوت » Sir Walter Scott اسمها « عروس لامرمور » The Bride of Lammermoor وهى تتناول المصير المفجع لحبيبين شابين تنازعت عائلتيهما الأحقاد. وقد نظم كلمات الأوبرا «كامارانو» Cammarano ، ووضع ألحانها الموسيقى الايطالى «دونيزيتى» Donizetti ، وقدمت لأول مرة على مسرح «سان كارلو» San Carlo بنابولى فى سبتمبر عام ١٨٣٥ ، ثم فى لندن عام ١٨٣٨ .

شخصيات الأوبرا :

نورمان : قائد الحرس	**Norman**
لورد هنرى أشتون	**Lord Henry Ashton**
رايموند : معلم لوتشيا	**Raymond**
لوتشيا : شقيقة لورد هنرى	**Lucia**
أليس : صديقة لوتشيا	**Alice**
أدجار رافنسوود : عشيق لوتشيا	**Ravenswood**
لورد آرثر بكلو : من نبلاء اسكتلندا	**Lord Bucklaw**

زمن الأوبرا : حوالى عام ١٧٠٠

المكان : اسكتلندا

الفصل الأول

المنظر ـ الأراضى المجاورة لقصر «رافنسوود»

مضت عدة سنين ولورد هنرى أشتون يمقت عائلة «رافنسوود» ويناصب أفرادها العداء . فقد سلبهم السلطة واستولى على حصنهم القديم ، ومع ذلك لا يريد أن يقف ببطشه عند حد . فمادام أحد أفراد عائلة رافنسوود باقيا ـ وهو ادجار رافنسوود ـ فان نفسه لن تعرف السلام ، ولن تنفذ الى قلبه الرحمة .

وثمة مشكلة أخرى تحير فكر لورد هنرى ، وهى أن أحد أعدائه على وشك اعتلاء عرش اسكتلندا . ومعنى هذا أنه مهدد بالنفى من البلاد ما لم يوفق الى تزويج شقيقته «لوتشيا» من رجل له نفوذ فى البلاط الملكى !

ولورد هنرى الآن يجول فى أراضى رافنسوود ، يطرح هذه الأفكار التى تتماوج فى ذهنه على «نورمان» قائد حرسه الذى أودع فيه كل ثقته .

ويصرح لورد هنرى للقائد قائلا :

لورد هنرى : يجب أن نرغم لوتشيا على الزواج !

ويوافق نورمان . غير أن «رايموند» ـ معلم لوتشيا ـ يحتج قائلا :

رايموند : انها مازالت حزينة على فقد أمها . فكيف يمكن أن تفكر فى الحب أو الزواج فى مثل هذا الوقت ؟

ويطلق نورمان ضحكة ساخرة ثم يسأل فى دهشة :

نورمان : فى الحب ؟! . . انها تحب فعلا ادجار رافنسوود! وهما يتقابلان هنا سرا كل يوم !

ويعضد رواية نورمان جماعة من صيادى الوحوش وقع نظرهم على ادجار راكبا نحـو أبواب القصر . وهنا يعصف الغضب بلورد هنرى فيقسم ليقتلن ادجار العشيق !

ويحاول رايموند أن يهدىء من ثورته ولكن فى غير طائل . وينصرف اللورد الحانق ومعه قائده نورمان بعد أن عقد العزم على الانتقام . ثم يمضى فى أثرهما رايموند .

ولا تكاد الأرض تخلو من لورد هنرى واتباعه حتى تظهر لوتشيا ومعها صديقتها اليس . لقد جاءت تنتظـر حبيبها ادجار عند نافورة رافنسوود !

وتحذر اليس صديقتها قائلة :

اليس : كان يجب ألا تحضرى الى هنا . فعليك أن تفكرى فى غضب أخيك لورد هنرى !

وتجيب لوتشيا بقولها :

لوتشيا : يجب أن أنبه ادجار الى ما يحيق به ، فان كلينا فى خطر !

ثم تحدث اليس عن شبح رأته بجوار النافورة ـ شبح فتاة لقيت حتفها قتلا ! واذ تنصت اليس الى قصة لوتشيا يتملكها الخوف ثم تصيح :

اليس : اننى خائفة عليك يالوتشـيا ! عودى أدراجك الى القصر !

وتجيب لوتشيا فى عناد :

لوتشيا : كلا ! ان نظرة واحدة من ادجار كفيلة أن تبدد كل هذه الهواجس !

وتنصرف اليس وقد استبد بها القلق .

وحالما يصل ادجار ليعلن لحبيبته لوتشيا فى أسف :

ـ يجب أن أغادر اسـكتلندا الليـلة يا لوتشـيا . فان

الواجب يحتم على أن أذهب فى مهمة الى فرنسا . الا يمكن لنا أن نتزوج قبل الرحيل ؟..

وتجيب لوتشيا وهى تتنهد :

ـ كلا !.. فأنت تعلم مدى كراهية أخى لآل رافنسوود !

ادجار : اذن خذى هذا الخاتم ، واعطنى فى مقابل هذا عهدا . فسوف يجيىء اليوم الذى تنتهى فيه هذه الاحقاد وأعود لأطلبك للزواج !

ويتعانق الحبيبان عناق الوداع ، ثم يمضى ادجار وهو يقول :

ـ تذكرى انك أعطيت عهدا !

الفصل الثانى

المنظر الأول ـ جناح فى القصر

اطمأن لورد هنرى الى صفاء الجو السياسى الذى كان ملبدا بغيوم الخطر . فقد نجح فى اعداد العدة لكى تتزوج شقيقته لوتشيا من أحد نبلاء الدولة البارزين وهو « لورد آرثر بكلو » الذى قرب الآن موعد وصوله لتتم مراسيم الزواج .

ويصرح لورد هنرى الى القائد نورمان قائلا :

لورد هنرى : ومع ذلك فان القلق يساورنى . فماذا اذا رفضت لوتشيا هذا الزواج ؟ انها لاتزال تفكر فى ادجار !

ويجيب نورمان :

ـ لا تخف فقد أخفينا جميع الخطابات التى أرسلها ادجار من فرنسا . ومن ثم فان شقيقتك سوف تظن فيه عدم الاخلاص !

واذ يغادر نورمان الغرفة لاستقبال لورد آرثر ، تدخل

لوتشيا وقد ارتسم على وجهها الشحوب والأسى .

وتسأل الفتاة أخاها فى ضيق وانفعال :

ـ لم تصر على موقفك هذا ؟ انك تعلم اننى أعطيت عهدا لادجار !

وكأن لورد هنرى كان ينتظر من شقيقته هذا القول ، فما أن تفرغ من جملتها حتى يظهر لها خطابا مزيفا فحواه أن ادجار قد اختار لنفسه زوجة أجنبية !

وبعد برهة من الصمت الحائر يسأل لورد هنرى شقيقته

ـ والآن ... هل تتزوجين لورد آرثر ؟

وتخور الفتاة أمام هذا السؤال ، وبخاصة بعد أن ينصحها معلمها رايموند بأن تستسلم لرغبة أخيها ، فتتأهب بقلب مثقل حزين للزواج من لورد آرثر .

المنظر الثانى ـ قاعة فى القصر

يصل لورد آرثر الى «لاميرمور» حيث تصدح الموسيقى وتعد العدة للزواج . غير أنه يحار فى تفسير التصرفات الغريبة التى تصدر عن عروسه لوتشيا . فهى تبكى بدون انقطاع ، ولا تتحدث اليه الا لماما .

ولا تكاد لوتشيا تمضى عقد الزواج حتى يسمع بباب القصر هرج ومرج .

لقد عاد ادجار من فرنسا ليطالب بحبيبته لوتشيا زوجة له ! وما أن يعلم بأنها تزوجت من غيره حتى يصب عليها جام غضبه ويؤنبها فى احتقار صارخ وهو يخلع خاتمه من أصبعه ويلقيه فى وجهها :

ـ اليك خاتمك ! فانت خائنة للعهد !

ويستل لورد هنرى سيفه ، ويتقدم المدعوون من ادجار

غاضبين متوعدين . غير أن رايموند لا يلبث أن يتدخل فى الأمر بحكمته حقنا للدماء . ويغادر ادجار القصر مسرعا بعد أن يحدد مع لوردآرثر موعدا للمبارزة ، فى حين تهوى لوتشيا على الأرض وقد خارت قواها .

الفصل الثالث

المنظر الأول ـ قاعة فى قصر لورد هنرى

تموج قاعة «لامرمور» بالمحتفلين بزواج لوتشيا من لورد آرثر .

وفجأة يظهر رايموند وفى جعبته أنباء سيئة : فقد قتلت لوتشيا زوجها لورد آرثر بعد أن غمرها الحزن ولم تعدتقوى على احتماله !

وحالما تدخل لوتشيا القاعة وهى تلهث كالمجنونة والجزع يكاد يقفز من عينيها ، ثم تقول بكلمات مذبوحة مرتعشة وكأنها تناجى حبيبها الغائب :

ـ ادجار !.. ادجار ! آن لنا أن نتزوج ! ألا ترى الشموع المضاءة وجموع المدعوين ..ان الكاهن مستعد ، وهانذا لك فى النهاية !..

ثم ترتمى بين أحضان صديقتها وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة.

المنظر الثانى ـ مقبرة

يتجول ادجار بين قبور أسلافه آل رافنسوود ينتظر غريمه لورد آرثر ، ويفكر فى زواج لوتشيا دون أن يعلم المصير المفجع الذى انتهت اليه .

واذ يرمى ببصره الى الأنوار المنبعثة من القصر البعيد ، يخيل اليه والمرارة تكاد تقطع نفسه ، أن لوتشيا بين ذراعى زوجها .

وأخيرا يتمتم فى يأس :

ـ سوف أموت من غير صديق يبكينى . فان القبر ينتظرنى !

وفجأة تقع عينه على بعض أشخاص مرتدين ملابس الحداد قادمين من جهة لاميرمور . واذ يقتربون من المقبرة يسأل أحدهم :

ـ لم تنتحبون ؟

ـ انها لوتشيا ! . لقد أفقدها الحزن صوابها !

وتبرق فى ذهن ادجار فكرة الاندفاع الى القصر ليرى حبيبته مرة أخيرة عسى أن يصلح ما أفسده عليه الماضى . غير أن رايموند يقترب منه ويحول بينه وبين تحقيق ما يريد :

ـ لقد سبق السيف العذل ، فقد ماتت لوتشيا !

ويصيح ادجار منتحبا :

ـ اذن لم يعد لى شىء على الأرض . فبغير لوتشيا لا يمكن أن أعيش !

وقبل أن تمتد اليه أيدى رايموند والاتباع لتمنعه ، يكون ادجار قد أغمد خنجره فى صدره وخر صريعا بين القبور ..

ستار

شارل جونود

فاوست

Charles Gounod

FAUST

فكرة هذه الأوبرا مأخوذة من قصة قديمة يرجع عهدها الى العصور الوسطى ، وهى القصـــة التى خلدها الشاعر الألمانى المشهور «جوته» Goethe فى مسرحيته التى تحمل نفس الاسم . وقد نظم كلمات الأوبرا « باربييه » Barbier و «كاريه» Carré ، ووضع ألحانها الموسيقى الفرنسى « شارل جونود » Charles Gounod ، وقدمت لأول مرة فى باريس عام ١٨٥٩ .

شخصيات الأوبرا :

فاوســـت	: فيلسوف	**Faust**
مفيستوفيليس	: الشيطان	**Mephistopheles**
فالنتان	جنود	**Valentin**
فاجنر	جنود	**Wagner**
سيبيل	جنود	**Siebel**
مارجريت		**Marguerite**

جنود ـ كهنة ـ ملائكة ـ شياطين

زمن الأوبرا : القرن السادس عشر

المكان : المانيا

الفصل الأول

المنظر الأول ـ غرفة مكتب

فاوست فيلسوف ، أنفق عمره فى دراسة اللاهوت والروحانيات ، وهو الآن كهل احتفرت التجاعيد وجهه ، يفكر فى أيام الشباب التى ولت دون أن يتمتع بها . ويسمع وهو جالس الى مكتبه أصوات الفلاحين وهم يعملون فى الحقول ويغنون فى نشوة ومرح ، فيتلوى الحقد فى نفسه ويصيح فى حنق :

فاوست : الا سحقا للايمان ! .. أيها الشيطان ملاك الشر اظهر لى !.

ويقطع سكون الغرفة صوت كالرعد :

الشيطان : هانذا موجود !

ويرتعد فاوست حينما يبصر «مفيستوفيليس» أمامه .

فاوست : الا فاغرب عن ناظرى !

الشيطان : ماذا ؟! هل تستدعينى ثم تطلب منى أن أذهب عنك ؟ تذكر اننى أستطيع أن أجلب لك الذهب ، والقوة ، والمجد !

فاوست : لا أريد شيئا من هذا. انما كل ما أبغيه فجاجة الشباب !

الشيطان : حسنا ! سوف يكون لك كل ماتريد. وسيكون أجرى بسيط : أنا أخدمك على الأرض ، وأنت تجيبنى الى ما أطلبه منك !

ويقدم الشيطان لفاوست كأسا لايكاد يكرعها حتى يجرى فى شرايينه دم الشباب الحار .

الشيطان : هيا بنا ، اتبعنى !

ويتبع فاوست الشيطان الى حيث مباهج الحياة !

المنظر الثانى ـ سوق المدينة

تفص السوق بالجنود الذين أوشكوا على مغادرة المدينة الى الحرب . الحركة والمرح يغمران المكان ، ولكن أحد الجنود ـ فالنتان ـ يبدو على وجهه الهم والكآبة . واذ يسأله صديقاه فاجنر وسيبيل عن سبب حزنه يجيب :

ـ من الذى سيعنى بشقيقتى مارجريت عندما أذهب للحرب ؟

ـ اننا جميعا سنقوم على خدمتها !..

وهنا يظهر «مفستوفيليس» من حيث لا يشعر بمقدمه أحد ، وينضم الى ثلة الجنود ، ثم يبدأ يغنى أغنية فيها كثير من التبذل والمجون . وعندما يفرغ منها يقدم للجميع كؤوس الخمر ، ويرفع كأسه الى فمه ويقول :

ـ نخب مارجريت !

ويسحب فالنتين سيفه ، ولكنه لايكاد ينظر فيه حتى يتبين انه قد كسر ! وهنا يدرك الجنود أنهم فى حضرة شيطان يرتدى ملابس آدمى ! فيغادرون المكان وقد تملكهم الرعب .

وفى هذه اللحظة يأتى فاوست باحثا عن صديقه الشيطان، واذ يراه يسأله :

فاوست : متى سأرى مارجريت ؟

الشيطان : انها ستكون هنا بعد قليل !

ويظهر من بعيد الجندى سيبيل . لقد جاء يترقب مارجريت التى جن بحبها .

وبعد قليل تأتى مارجريت فى طريقها ذاهبة الى الكنيسة ، فيتقدم منها فاوست ويسألها :

ـ هل ارافقك ؟

وترفض مارجريت ، فيبقى فاوست يتبعها بعينيه الجائعتين ويقول :

ـ لقد أحببتها !

الفصل الثانى

المنظر ـ حديقة منزل مارجريت

يذهب الجندى العاشق سيبيل الى منزل حبيبته فيترك باقة من الزهر على عتبة الباب علامة على حبه لها ، ثم ينصرف.

وهنا يصل مفستوفيليس وفاوست فتقع عيناهما على باقة الورد . ويسخر الشيطان من هذه الهدية المتواضعة ، فيعد بأن يقدم لمارجريت هدية أكثر منها قيمة واغراء . ويختفى لحظة ثم يعود حاملا علبة مملوءة بالمجوهرات ليكسف بها هدية الجندى التافهة !

وتصل مارجريت فتعثر على علبة المجوهرات فوق عتبة الباب . وفى هذه اللحظة يظهر لها فاوست ويحدثها قائلا :

فاوست : انك وحيدة !

مارجريت : نعم ، فقد ماتت أمى وذهب شقيقى الى الحرب.

ويقدم فاوست يده الى الفتاة ثم يتجول معها بين أشجار الحديقة .

ويسر الشيطان ـ الذى يبقى مختفيا يراقب الحبيبين ـ للتأثير الناجح الذى أحدثته المجوهرات ، فيأمر الأزهار بأن ترسل عبيقا يذكى حب مارجريت لفاوست !

ويعود الحبيبين بعد قليل ، فتستأذن مارجريت فى الانصراف وتصعد الى منزلها بعد ان تعد فاوست بمقابلته فى اليوم التالى .

وهنا يظهر الشيطان ويوجه كلامه الى فاوست مؤنبا :

الشيطان : ألا تدرك أن الفتاة ملك لك ؟ !

ثم يشير الى غرفة نومها .
ويتسلق فاوست الى مخدع مارجريت وقد تأججت شهوته ، فيجدها تطل من النافذة وتنظر الى النجوم وهى سابحة فى ذرا الخيال ...

الفصل الثالث

المنظر الأول ـ كنيسة

استسلمت مارجريت لفاوست ، ولكنه هجرها بعد أن قضى وطره منها ...
وهى الآن جاثية فى الكنيسة تطلب من الله أن يغفر لها ذلتها ودموعها سيول لايقف لها انصباب .
وفجأة تسمع صوتا يصيح :
ـ كفى صلاة ، فانه لن يغفر لك ! ..
وترتعد الفتاة البائسة وتصيح :
ـ رباه ! أى مصير ذلك الذى ينتظرنى ؟ !
ويسمع صوت خافت حزين . انه صوت الكهنة يرتلون للصلاة .
ومرة أخرى يرتفع صوت الشيطان !
ـ ودعى ليالى الحب يامرجريت ، فان روحك الآن ملعونة !
وتخر الفتاة على الأرض والخوف يرعش اطرافها .

المنظر الثانى ـ ميدان عام

تبتهج المدينة بعودة الجنود من الحرب . ويعلم فالنتان ـ شقيق مارجريت ـ بما حدث لشقيقته ، فما أن تقع عينه على فاوست حتى يدعوه للنزال ، ولكن قوة فاوست الشيطانية تقهر الجندى فيقع على الأرض بين الحياة والموت .
ويتجمع الجنود حول زميلهم المصاب .

وتسرع مارجريت نحو مصدر الاستغاثة . ولكن فالنتان لا يكاد يراها حتى يقول لها فى صوت خافت مذبوح :

فالنتان : اليك عنى ! لقد قتلنى عشيقك . ولو ان الله قد يغفر لك ، الا أننى العنك بكل ما تبقى لى من انفاس .

وتتعثر الفتاة وهى تتجه نحو منزلها وتجهش ببكاء هستيرى أليم .

الفصل الرابع
المنظر ـ السجن

تثبت على مارجريت تهمة قتل الطفل الذى انجبته سفاحا من فاوست ، فتزج فى السجن فى انتظار صدور حكم الاعدام.

ويتسلل فاوست خلسة مع مفستوفيليس ليحمل حبيبته على الفرار ، فيجدها راقدة على فراش من القش .

فاوست : هيا بنا ، يجب أن نهرب !

وترتاع الفتاة لمنظر الشيطان الماثل أمامها ، فتصيح والخوف يرتج فوق شفتيها :

ـ الشيطان !

ثم تجثو على ركبتيها وتسترفد رحمة الله .

فاوست : مارجريت ! يجب أن نبرح من هنا !

مارجريت : الا اغرب عنى ، فاننى أمقت رؤيتك !

ثم تطلق صيحة جنونية تسقط بعدها على الأرض وقد فارقت الحياة .

ويقول الشيطان فى جذل :

ـ ان روحها لى !

ولكن أصواتا سماوية غير منظورة تجيبه منشدة :

ـ كلا ! فان مصيرها الخلاص !

ستار

جیوسپی فردی

التروفاتوری

Giuseppe Verdi

IL TROVATORE

« التروفاتورى » مأساة غنائية فى أربعة فصول تدور حول طفل من النبلاء اختطفته احدى الغجريات بقصد الانتقام . وقد كتبها « كامانارو » Cammarano ، ووضع ألحانها الموسيقى الايطالى المشهور « چيوسيپى فردى » Giuseppe Verdi . وقدمت لأول مرة على مسرح «أپولو» Teatro Apollo بروما فى ١٩ يناير عام ١٨٥٣ .

وكلمة « تروفاتورى» بالايطالية معناها « مغنى جائل » – وهو نوع من المغنين انتشر فى أوربا فى القرون الوسطى وبخاصة فى فرنسا واسپانيا .

شخصيات الأوبرا :

فيراندو : قائد الحرس **Ferrando**

ليونورا : سيدة نبيلة من « أراجون » **Leonora**

اينيز : وصيفتها **Inez**

كونت دى لونا : من النبلاء **Conte di Luna**

مانريكو : مغنى جائل ، وشقيق الكونت دى لونا **Manrico**

أتزوتشينا : غجرية **Azucena**

رويتز : صديق مانريكو **Ruiz**

زمن الأوبرا : القرن الخامس عشر

المكان : مملكتا «بسكاى» و «أراجون»

الفصل الأول ـ المبارزة

المنظر الأول ـ دهليز فى قصر الياقرا

تدق الطبول مرتين ، ثم تتبعها الأبواق ، فيسود المكان جو الفروسية .

أوشك الليل أن ينتصف . جنود واتباع الكونت دى لونا جالسون فى قاعة القصر وقد بدأ يغلبهم النعاس . وليس هناك من ظل ساهرا سوى فيراندو قائد الحرس .

ـ هيا انهضوا ! فان الكونت قد يحضر هنا فى أية لحظة !

ويهب الاتباع واقفين ، وتبدأ ألسنتهم تلوك سير سيدهم

ـ كيف يظل ساهرا كل ليلة تحت نافذة حبيبته ، وكيف لدغه عقرب الغيرة حينما بدأ يغازلها التروفاتورى ـ أى المغنى المتجول ـ مانريكو .

ولكن حديثهم لا يلبث أن يخفت ويبدأ الكرى يداعب أجفانهم من جديد .

ـ اجعلنا متيقظين دائما يا فيراندو ! اسرد علينا قصة ـ ولتكن قصة شقيق الكونت سىء الحظ !

ويبدأ القائد قصته :

اقتحمت عجرية ذات يوم قصرنا ، ودخلت عنوة حجرة الصغير جارسيا دى لونا ـ شقيق الكونت ، وسحرته . ومن حسن الحظ اننا استطعنا القبض عليها . ولكن منذ ذلك اليوم وصحة الطفل تهوى الى الحضيض . وقد اعدمت الفجرية العجوز . ومع ذلك لم تنته مصيبتنا عند هذا الحد ، فقد خطفت ابنتها الغليظة القلب الطفل وحرقته فى نفس المكان الذى لقيت فيه أمها حتفها !

وتسرى اليقظة فى وجوه الأتباع فيسألون قائدهم :

ـ وهل القى القبض على الأبنة ؟

ـ كلا ! فقد مكثنا نبحث عنها عدة سنين ، وكان يمكن أن أعرفها لو أننى رأيتها ـ ولكن بحثنا كان نصيبه الفشل !

ويبدأ الظلام الحالك من جهة ، وقصة فيراندو القاتمة من جهة أخرى ، يؤثران فى أعصاب الجنود المتعبين ، فما أن تدق الساعة اثنتى عشرة دقة معلنة منتصف الليل ، حتى يعلو صراخهم ، فيهرعون الى أبواب القصر يوصدونها وهم فزعين :

ـ فلتحفظنا السماء من الأرواح الشريرة !

المنظر الثانى ـ حدائق قصر اليافرا

ملكة أراجون تقيم الآن فى قصر اليافـرا ، تنتظر نتيجة الحرب الأهليـة التى مزقت شـمل أسبانيـا . فقد كانت أراجون وبسكاى تحارب كل منهما الأخرى .

وتعمل فى خدمة الملكة سيدة نبيلة تدعى ليونورا . وقد اصطحبت هذه النبيلة رفيقة لها تدعى اينيز وتسللت خلسة من القصر الى الحديقة لمقابلة المغنى (التروفاتورى) الذى اعتاد أن يغنى لها تحت جنح الليل .

وتبدأ الصديقة اينيز تسدى النصح الى الحبيبة الولهة ليونورا :

اينيز : ليونورا ! انك متهورة حمقاء ! فلتنس هذا الغريب .

ليونورا : لا استطيع ، فانى أحبه !

وفى انتظار الحبيب ، تنتحيان جانبا من الحديقة ، وتختفيان بين أغصان الشجر .

وحالما يظهر الكونت دى لونا فى الحديقة يشق طريقه بين الأشجار . لقد جن هو الآخر بحب ليونورا ، وعقد العزم على أن لا يثنيه عن الاقتران بها أى شىء .

ويمكث برهة يحدق النظر فى نافذة حجرتها المضاءة . ولكن

تلك اللحظة السعيدة لا تلبث أن يفسدها عليه صوت قيثارة قريبة ٩

ـ ويلى ! ... انه التروفاتورى !

ويشق الظلام غناء حـزين ، فتعرف ليونورا انه حبيبها المغنى مانريكو ، فتهرع من غرفتها لتعانق الكونت دى لونا الذى تخطىء وتظنه حبيبها ! ولشدما تكون دهشتها حينما يظهر حبيبها الحقيقى التروفاتورى مانريكو !

وفى الحال يدعوه الكونت للنزال ، ويسأل فى لهجة ملؤها الحنق والتحدى :

ـ من أنت ؟ اننى أسألك الافصاح !

ويرفع المغنى خوذته ، ويكشف عن شخصيته ، فيقول انه يدعى مانريكو ، وانه فارس عدو يعمل فى خدمة بسكاى. وعندما يشتد الحنق بالكونت ، يسحب مانريكو سيفه .

وعبثا تحـاول الحبيبة ليونورا أن تفرق بين العاشـقين الغريمين ، فتبدأ بينهما مبارزة حامية .

الفصل الثانى ـ الفجرية

المنظر الأول ـ فى جبال بسكاى

ينتصر المغنى مانريكو فى المبارزة مع الابقاء على حياة خصمه. ولكن الكونت دى لونا لايقدر هذا الصنيع من الترفاتورى ، فيرسـل قواته لمطـاردته حتى يهزموه ويتركوه بين الحياة والموت فى ساحة القتال فى «بليلا» . وتأتى الفجرية أتزوتشينا ـ التى كانت قد احتضنته فى صغره ـ فتنقذه وتعنى به . ويبدأ مانريكو حياة التجوال بين جبال بسكاى . وهو الآن راقد وسط جماعة الفجريات يستمع الى الغناء .

وتجلس الفجرية «أتزوتشينا» منعزلة ، تحدق النظر فى النار المشـتعلة ، وتتذكر ذلك اليوم المشـئوم ـ منذ عدة

سنوات ـ حيث لقيت أمها حتفها محترقة فى قصر الكونت دى لونا . وحينما تكف بقية الفجريات عن الانشاد، تغنى هى أغنية حزينة تحمل معنى الانتقام . وهنا يبدولها ـ فى شكل رؤيا ـ جسد أمها وقد أخذت تلتهمه النيران . وترحل جماعة الفجريات . ولكن ازوتشينا لا تكاد تلحظ رحيلهم ، وانما تظل ساهمة النظر ، تفكرفى أمها ، وفى الانتقام الذى أشارت به وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة . ويتخلف مانريكو مع الفجرية ، فهو يعتقد اعتقادا راسخا أنه ابنها . ومن ثم يتوسل اليها أن تفضى اليه بالسر الذى ينهب عقلها .

وتحدثه الفجرية قائلة :

«عندما قتلوا أمى ، خطفت الطفل شقيق الكونت دى لونا للانتقام . وكنت أريد أن أحرقه حيا . ولكن ـ ويا لسوء الحظ ـ حينما بدأت النيران تشتعل ، ظهرت رؤيا أمى أمام عينى ففقدت وعيى ، وبدلا من أن أقذف الطفل جارسيا الى النيران القيت بابنى بدلا منه ! »

وهنا يصيح مانريكو :

ـ اذن ... ألست أنا ابنك ؟!

وتحملق ازوتشينا فى وجه المغنى ، ولكن اذ تنكشف لها الحقيقة تلجأ الى الكذب .

ـ بالتأكيد انت ابنى ! ألم أنقذك من ساحة القتال فى بليلا ؟ ألم أظهر لك دائما الحنان كله ؟

وفى تلك اللحظة تسمع أصوات أبواق من الوادى الذى يمتد تحتهم . انها علامة وصول رويتز ـ صديق مانريكو ـ الذى أتى يحمل اليه رسالة :

« لقد احتل جيشنا حصن كاستيلور . واصـــدر الأمير أمره بأن تحضر من فورك لتتولى القيادة . . »

وفجأة يصيح مانريكو حينما يصل فى الرسالة الى نهايتها:

مانريكو : تظن ليونورا اننى قتلت فى المعركة ! وهى لذلك سوف تدخل الدير الليلة !

ويتأهب التروفاتورى للرحيـــل . وعبثا تحاول الغجرية أتزوتشينا أن تثنيه عن عزمه. ذلك أنها تشتم من تلك الفعلة شرا مستطيرا . والحقيقة انها تحبه على الرغم من أنه ينحدر من عائلة دى لونا التى قتلت أمها .

ويصيح الترفاتورى فى يأس :

مانريكو : لا استطيع البقاء ! وداعا يا أماه !

ثم يندفع الى السهل تاركا الجبل من ورائه .

المنظر الثانى ـ رواق فى أحد الأديرة قرب كاستيلور

يعلم الكونت دى لونا عن عزم ليونورا اعتزال العـــالم . وتدفعه رغبته فى العمل على احباط خطتها الى ان يختبىء داخل الدير بصحبة قائد حرسه فيراندو وبعض الاتباع . وفى انتظار مقدمها يحدث نفسه قائلا :

ـ كلا ياليونورا ! فمـــا من أجلك خلق الدير ! . . اننى اقسم انك سوف تكونين لى !

وتقترب ليونورا بصحبة وصيفتها اينيز . وفى لهجة مفعمة باللوعة والحرقة تتنهد بعمق وهى تقول :

ليونورا : لم يبق لى الآن اى شىء ! فقد مات مانريكو ، ولم يعد لى من ملجأ سوى الدير !

ثم تستأذن وصيفتها فى الدخول الى ذلك العالم الصغير الذى قررت ان تمضى فيه بقية حياتها .

ولكنها لاتكاد تهم بالدخول حتى يفاجئها الكونت دى لونا واتباعه ، فيلقون القبض عليها . وفى تلك اللحظة الحاسمة يصل مانريكو على رأس جنود بسكاى ، فيخلص ليونورامن أيدى الكونت !

الفصل الثالث ـ ابن الغجرية

المنظر الأول ـ معسكر قرب كاستيلور

يحمل مانريكو حبيبته ليونورا الى حصن كاستيلور . ولكن شبح الخطر لايزال قائما ماثلا أمام الحبيبين . فها هم جنود الأعداء يكمنون خارج جدران الحصن ، وها هو ذا الكونت دى لونا ينصب لنفسه خيمة فى مكان قريب . ويسمع مانريكو الكونت وهو يصيح :

ـ انها هناك ! هناك بين أحضان غريمى ! أواه ياليونورا !

ويقطع عليه تفكيره صوت هرج فى المعسكر . فقد حضرت الغجرية أتزوتشينا مقبوضا عليها بتهمة التجسس ، وقادها فيراندو رئيس الحرس الى الكونت ليصدر حكمه عليها . **ولكن الكونت لا يكاد يتفرس فى قسمات وجهها حتى يصيح مذعورا :**

الكونت دى لونا : انها تلك المرأة بعينها ! فعلى الرغم من أن السنين قد انقضت الا أننى أتذكرها تماما . انها قاتلة « جارسيا » شقيقى . ألق القبض عليها ، فلسوف تلقى حتفها !

وفى ثورة من الانفعال تنسى أتزوتشينا نفسها فتذكر اسم مانريكو :

أتزوتشينا : ابنى العزيز ! أين أنت ؟! إلا فأحضر لتنجدنى وتخلصنى من هؤلاء الطغاة !

ويقف الكونت مشدوها أمام هذا التصريح !
الكونت دى لونا : اذن فأنت أم مانريكو !
ثم يأمر باقتيادها وهو يقول لها :
الكونت دى لونا : سوف انتقم فى شخصك !

المنظر الثانى ـ قاعة ملاصقة لكنيسة كاستيلور

يعتزم مانريكو وليونورا تتويج حبهما بالزواج على الرغم من أن المعركة لاتزال تدور رحاها والعدو يهددهم باحتلال الحصن بين لحظة وأخرى . ولكن فكرة الزواج تبـــدد تلك المخاوف ، فيدخلان الكنيسة غير عابئين بشىء .

وفجأة يظهر رويتز صديق مانريكو :

رويتز : مانريكو ! لقد أسرت أمك، وسوف يحرقونها حية !

وينسى مانريكو كل شىء ـ زواجه من حبيبته ليونورا ، وسلامته الشخصية من الأعداء المحيطين به ،ويقسم لينقذن اتزوتشينا . ويلتف حول اتباعه المخلصون وهم يصيحون :

ـ فلنكن لك مخلصين حتى النهاية !

وينطلق جنود بسكاى على رأس مانريكو شاهرين سلاحهم لتخليص اتزوتشينا !

الفصل الرابع ـ النهاية المفجعة
المنظر الأول ـ جناح فى قصر اليافرا

يفشل مانريكو فى مهمته ويقع أسيرا فى أيدى الكونت دى لونا . وهو الآن سجين فى برج معتم فى قصر الكونت .

الليل يلتطم حول المكان ، وليس هناك من ضـــوء سوى ذلك المشعل الخافت الذى يقترب وئيدا . انها ليونورا !.. نعم ، هاهى ذى تتقدم ومعها صديق مانريكو المخلص رويتز .

لقد هربت من كاستيلور لتلحق بحبيبها المفجوع . انها ترتعد وهى تسمع فى طريقها الصلوات التى تقام للموتى . وحينما ينبعث صوت حبيبها المغنى من البرج مرددا اغنية حزينة ، تهتاج مشاعرها ويدب اليأس فى قلبها .

وهنا يخرج الكونت دى لونا من القصر فى طريقه الى البرج ليرى مانريكو . فتتقدم منه ليونورا وتطلب منه الصفح عن حبيبها المغنى .

ليونورا : افرج عنه ، وسوف اكون ملكا لك بعد ذلك !

ولا تنقضى فترة طويلة حتى يوافقها الكونت على رأيها . ولكنها لاتلبث أن تردف قائلة :

ـ غير أن هناك شرطا واحدا . وهو أن تسمح لى بالدخول لاطلق سراح مانريكو بنفسى . وبعد ذلك تستطيع ان شئت أن تأخذنى !

ولا يسع الكونت الا الموافقة . فان فكرة الاستيلاء عليها لاتدع لديه مجالا للتردد . ولكنه فى نشوة الفرح لا يلحظها وهى تتجرع السم الذى كانت تضعه فى خاتمها !

الكونت دى لونا : دعينا ندخل ! فسوف تكونين لى فى النهاية !

المنظر الثانى ـ السجن

اتزوتشينا الغجرية سجينة الآن مع مانريكو بعد أن ألقى القبض عليها . ولكن قسوة السجن التى لم تتعودها من قبل تؤثر فى قواها العقلية فيصيبها نوع من الجنون . غير أن مانريكو يواسيها ويغنى لها واعدا اياها بأن يخلصها من العذاب ويحملها مرة اخرى الى حيث الحرية فى جبال بسكاى . وتخدعها صورة المستقبل الساحرة ، فتهدأ اعصابها وتستسلم

لنوم عميق . وهنا يفتح الباب فيسفر عن ليونوراوهى تقول فى لهفة :

ليونورا : هيا أسرع ! لقد أطلق سراحك ، فلتهرب !

ويحملق مانريكو فى وجه حبيبته من فرط الدهشة . ولكنه لا يلبث أن يسألها :

مانريكو : من الذى ارسلك ؟وكيف تم اطلاق سراحى ؟!

ولكن ليونورا تظل صامتة لا تجيب ، فينفعل مانريكو ويصيح مستنكرا :

مانريكو : لقد بعت نفسك ! الا فاغربى عن وجهى !

ويزيد اضطراب ليونورا ولعثمتها ، ويكون السم قدظهر تأثيره على جسدها الذى لم تعد تتحمله ساقاها فتهوىالى الأرض . وهنا فقط يدرك مانريكو أى ثمن دفعته حبيبته من أجل خلاصه .

وتحس ليونورا ببرودة الموت تغرى جسدها فتهمس الى حبيبها :

ـ اننى أموت يا مانريكو .. وداعا ياحبيبى !

وفى الوقت الذى يبقى فيه مانريكو ساهما ، يظهر بباب الغرفة الكونت دى لونا ومعه اتباعه .

ـ احملوا هذا الرجل الى المقصلة !

وينفذ أمر الأعدام فى مانريكو ..

ويعود الكونت الىغرفة السجن ليوقظ الفجرية من سباتها ثم يحثها على أن تطل معه من النافذة ،فيقول لها وقداجتاحته فكرة الانتصار :

ـ انظرى ! لقد أمرت باعدام ابنك !

وترتسم على وجه الفجرية علامات لا يتبين كنهها الكونت فتقول وهى تطلق ضحكة ساخرة جنونية :

ـ ابنى ؟ كلا ..انه لم يكن سوى أخيك !

ثم تبتعد من الكونت المفجوع وتقترب من النافذة . واذ تحملق ساهمة فى المقصلة ، تقول كأنها تستجمع شوارد ذكرياتها :

ـ لقد انتقمت لك يا أماه !..

ستار

أمبرواز توماس

مينـــــون

Ambroise Thomas

MIGNON

هـذه الأوبرا مقتبسة من مسرحية « ڤلهلهم ميستر » Wilhelm Meister للشاعر الألمانى المعروف « جوته » Goethe . وقد وضع ألحانها الموسـيقى الفرنسى « امبرواز توماس » Ambroise Thomas ، وقدمت لأول مرة على مسرح « أوبرا كوميك » Opéra Comique بباريس فى نوفمبر عام ١٨٦٦ .

شخصيات الأوبرا :

لوثاريو : عازف قيثارة مسن	**Lothario**
فيلين : ممثلة	**Philine**
لايرتى : زميل فيلين	**Laërte**
جارنو : رئيس جماعة الغجر	**Jarno**
مينون : فتاة غجرية	**Mignon**
ڤلهلم ميستر : شاب ثرى من فينا	**Wilhelm Meister**
فردريك : معجب بفيلين	**Frédéric**

زمن الأوبرا : القرن الثامن عشر

المكان : المانيا وايطاليا

الفصل الأول

المنظر ـ حانة فى الريف

تغص الحانة بلفيف من المسافرين وأهل البلدة وبعض الفجريات والمغنيات وعلى راسهن الممثلة « فيلين » وزميلها « لايرتى » . **وفجاة يقطع جو المرح الصاخب انغام حزينة منبعثة من قيثارة العازف المسن « اوثاريو » . انه كئيب شارد الفكر منذ ان فقد ابنته «سبيراتا» التى حاول العثور عليها دون جدوى . وتتساقط نفسه غما وحزنا عندما يبصر أمامه غجرية شابة تدعى «مينون» تشبه ابنته الضالة وفى نفس سنها .**

ويصيح «جارنو» رئيس الفجر :

ـ هيا يا مينون !

وهنا تتقدم من حلبة الرقص فتاة وادعة فاتنة يعلو وجهها كثير من الحياء .

مينون : كلا ، لن ارقص !

ويهم جارنو برفع عصاته ليهوى بها على جسد الفتاة . الا أن «فلهلم ميستر» الشاب الذى قدم من فينا ، يتقدم منه شاهرا مسدسه .

فلهلم : دعها تذهب !

ويخضع جارنو لتهديد فلهلم .

وينصرف الجالسون ، فلا يبقى فى الحانة سوى الممثلة فيلين التى تود التعرف بذلك الشاب الجرىء «فلهلم» ! وتنجح خطة الممثلة فى تحقيق غرضها ، فترسل زميلها « لايرتى » ليشتبك معه فى حديث ، ثم تمر أمامهما وكأن مرورها جاء عفوا ، فيقدمها لايرتى اليه ثم يدير زمام الحديث فى لباقة وبراعة . الا ان فيلين بمكرها ودهائها تستأذن فى

الانصراف حين تلحظ اعجابه بهاحتى تزيد من شوقه اليها !
ويبقى الشاب بمفرده . وهنا يبصر فتاة ترقبه فى غفر وحياء فيسألها :

فلهلم : ما اسمك ؟

مينون : انهم يدعوننى مينون !

فلهلم : من والداك ، ومن أين أتيت ؟

مينون : لا يعلق بذهنى من هذا الا شىء واحد ..

وتنشأ الفتاة تتحدث وكأنها غارقة فى لجة حلم لذيذ ،عن أرض بها أشجار برتقال فى لون التبر ، وسماء جلواءصافية ، وحدائق نضرة جميلة .. انها الأرض التى ترعرعت فيها فى كنف والديها . ثم تتذكر قصرا ذا أعمدة رخامية ، وبحيرة ساجية رقراقة ..

مينون : واحسرتاه ! لم لا أعود الى ذلك الشاطىءالسعيد؟ لكم أتمنى أن أعيش وأموت هناك !

وهنا يأتى رئيس جماعة الغجر ليأخذ مينون . لكن فلهلم يقول له محتدا :

فلهلم : انتظر ، فسوف أعتقها وستصبح حرة من اليوم !

وتصيح الفتاة فى نشوة وكأنها لا تصدق ماحدث :

مينون : هل حقيقة أصبحت حرة ؟!

وفى فرح جنونى تتقدم من « لوثاريو » عازف القيثارة المسن الذى تراه مقبلا على بعد من فناء الحانة .

مينون : لقد تحررت ! أواه ، لقد ساعدتنى أنت أيضا . هيا تقدم وشاركنى سعادتى !

لكن العازف الحزين يجيب قائلا :

لوثاريو : لا استطيع البقاء هنا ، بل يجب أن أحلق عاليا مع الطيور الحزينة !

ثم يرتفع صوته بغناء ساهم حزين .

وفجأة تنبعث من داخل الحانة ضحكات صاخبة . وتتلوى الغيرة فى نفس الفتاة عندما تتبين أنها ضحكات الممثلة فيلين .

مينون : هيا بنا يالوثاريو ، فلنبتعد عنها !

ويتوارى الاثنان بعيدا وراء الحانة ، فى حين تظهر فيلين ومعها «فردريك» ـ أحد المعجبين . وعندما تقع عين الممثلة على فلهلم تومىء اليه .

فيلين : أود أن أعرفك بفردريك !

ويواجه كل من المعجبين الآخر بنظرات عدائية ملتهبة !

وهنا يأتى الممثل لايرتى لينادى فيلين

لايرتى : فيلين ! لقد دعانا البارون لاحياء حفل تمثيلى فى قصره !

فيلين : هـذا رائع ! فسـوف نمثل « حلم منتصف ليلة صيف » . وأما أنت ياعزيزى «فلهلم ميستر» فاننا نرحب بلحاقك بنا هناك !

وينصرف فردريك والغيرة تسحق قلبه ، فى حين يبقى فلهلم وقد عقد العزم على تلبية دعوة فيلين . الا أن خاطرا يومض فى ذهنه : ماذا يفعل بالفتاة التى اشترى حريتها منذ قليل ؟ !

وتتوسل اليه مينون قائلة :

ـ خذنى معك ، سوف اتنكر فى زى خادم !

ويتردد فلهلم بادىء الأمر ، لكنه لايلبث أن يصحب مينون ليلحق بفرقة فيلين . ولا يبقى فى الحانة سوى لوثاريو عازف القيثارة الحزين .

الفصل الثانى

المنظر الأول ـ غرفة ملابس

تجلس الممثلة فيلين امام المرآة لتتزين استعدادا للحفل وهى تتحدث مع زميلها لايرتى . ويسمع طرق على الباب ثم يظهر فلهلم ميستر ومعه مينون متنكرة . الا أن جمال فيلين الصارخ ينسيه الفتاة الوادعة التى معه . وينصرف لايرتى ، فتخبر فيلين فلهلم أن البارون يود أن يراه ، فيخرجان معا وتبقى مينون بمفردها .

وتتقدم مينون نحو مائدة الزينة بدافع حب الاستطلاع ، فتضع على وجهها بعض المساحيق والعطور ، ثم تنظر الى نفسها فى المرآة ، فتتبين أن بوجهها شيئا من الفتنة ! وتجتاحها رغبة جامحة فى أن تعرف حقيقة العلاقة بين فلهلم وفيلين فتختفى داخل صوان الملابس . وبعد قليل يدخل فردريك وهو يصيح :

فردريك : وهكذا جعل عمى البارون من هذا الماخور مأوى لفيلين !

وفى هذه اللحظة يدخل فلهلم ، واذ يبصر فردريك يقول له والغضب يقفز من عينيه :

فلهلم : ماذا تفعل هنا ؟

فردريك : اننى أسألك نفس السؤال !

ويستل فردريك سيفه ، ولا تكاد المبارزة تبدأ بينهما حتى تخرج مينون من مكمنها . وينسحب فردريك ، فيسأل فلهلم مينون فى حدة :

فلهلم : ما الذى دعاك الى كل هذا ؟

وبعد جدال قصير بينهما تدخل فيلين ومعها فردريك . **لكن مينون لا تكاد تقع عينها على فيلين حتى تنفعل وتأتى**

بحركات عصبية ظاهرة ، فتسأل فيلين فلهلم :
فيلين : اظنها تغار منى ؟ !
ولأول مرة يدرك فلهلم أن مينون امرأة كاملة الأنوثة تحس بالغيرة مثلما تحس سائر النساء !

المنظر الثانى ـ حديقة قصر البارون

فى سرادق فخم متألق ، تمثل الفرقة مسرحية « حلم منتصف ليلة صيف »

وفى مكان منعزل عن الحديقة تتجول مينون وقد تأججت فى صدرها نيران الشوق لرؤية فلهلم . وتزيد صيحات المتفرجين وهتافاتهم للمثلة فيلين من غيرة الفتاة وألمها .

وفجأة تسمع نغمات شجية تنبعث من قيثارة قريبة . انها قيثارة لوثاريو العازف المسن . فتتقدم منه لتشكو اليه:
مينون : هل تسمع الهتاف ؟ .. انهم يهتفون باسمها : «فيلين» ! أواه !.. لماذا لاتهوى صاعقة من السماء فتشعل ألقصر نارا ؟!

وفى يأس قاتم تنصرف الفتاة ويلحق بها المغنى .

وينتهى الحفل ، فتفتح أبواب السرادق ويخرج منها جمهور المعجبين وقد التفوا حول فيلين .الا أن المثلة الكبيرة تتبين أن أكثر المحبين اليها ـ وهو فلهلم ـ غير موجود !..

لقد ادرك فلهلم خطأه حين احتد على مينون ، فذهب ليبحث عنها ويسترضيها . وهو الآن فى الحديقة يحاول أن يعثر عليها .

وفجأة تظهر مينون بصحبة لوثاريو . ويبوح العازف المسن للفتاة قائلا :
لوثاريو : لقد انتقمت لك فأشعلت النار فى القصر !
وهنا تصل فيلين . واذ ترى مينون ـ وهى فى ملابس

الخدم ـ تقول لها بقصد تحقيرها وجرح كبريائها :

فيلين : احضرى لى باقة الورد التى اهدانى اياها فلهلم .. لقد تركتها على خشبة المسرح !

وتمضى الفتاة كسيرة النفس نحو المسرح ..

وحالما تندلع النيران من السرادق ، فيسود المكان هرج ومرج ..

وفى تلك اللحظة من الخطر الداهم يدرك فلهلم قيمة مينون بالنسبة له ، فلا يكاد ينجو بنفسه من الحريق حتى يسرع الى المسرح الذى تعلوه النيران ويحمل الفتاة بين ذراعيه . انه يحب مينون ولا أحد سواها !

الفصل الثالث

المنظر ـ رواق فى قصر بايطاليا

يصطحب فلهلم حبيبته مينون الى بحيرات شمال ايطاليا وهناك يستأجر لها قصرا لتمضى فيه من الوقت ما يسمح لها باستعادة مافقدته فى الصدمة التى لحقت بها . ويذهب معها العازف المسن لوثاريو الذى تعلق بالفتاة الى حد أنه لم يعد يقوى على البعد عنها .

وعندما يصل الثلاثة الى القصر ، يبدو كل شىء هناك كأنه مألوف تماما للوثاريو ! ويضطرب العازف ثم يمرق الى أحد الحجرات .

وتجيل الفتاة النظر فى المناظر التى حولها ـ أشجار برتقال فى لون التبر ، وسماء جلواء مشرقة ، وحدائق نضرة جميلة .. ان شيئا مما تراه ليس غريبا عليها !

ويجلس فلهلم يسكب فى أذن مينون أعذب أحاديث الحب وأحلاها ..

وفجأة يصعق الحبيبان عندما يبصران لوثاريو يدخل عليهما وقد ارتدى أفخر ألوان الثياب !

لوثاريو : اننى أحييكما وأرحب بكما فى منزلى وبلدى !

ثم يقدم لمينون علبة حلى فاخرة ويقول لها :

لوثاريو : تجدين بداخلها سوارا وكتاب صلاة . لقد كانت ملكا لابنتى «سبيراتا» عندما كان هذا منزلى فى يوم من الأيام!

وتفحص مينون محتويات العلبة فى انفعال زائد . انها تفتح كتاب الصلاة وتقرأ فيه بصوت مرتفع ، وحالما يسقط الكتاب من بين يديها وهى مع ذلك تستمر فى تلاوة الصلاة ! وفجأة يدفعها شعور خفى غامض الى الاندفاع نحو حجرة جانبية . وبعد لحظة تعود وهى تصيح :

مينون : لقد رأيتها .. رأيت صورة أمى !

ويبكى لوثاريو فرحا وهو يعانق مينون .

لوثاريو : سبيراتا ! .. ابنتى !

ثم يتعانق فلهلم ومينون ، ويبارك عناقهما الأب لوثاريو !

ستار

جول ماسینیه

تایيس

Jules Massenet

THAIS

تقوم هـذه الأوبرا على قصة الروائى الفرنسى الذائع الصيت « أناتول فرانس » A. France التى تحمل نفس الاسم والتى تصور الصراع بين الخير والشر فى نفس الإنسان. وقد نظم كلماتها « لويس جاليه » Louis Gallet . ووضع ألحانها الموسيقى الفرنسى « چول ماسينيه » J. Massenet وظهرت لأول مرة على مسرح « جران أوبرا » Grand Opera بباريس فى ١٦ مارس عام ١٨٩٤ .

شخصيات الأوبرا :

أثانيال : راهب	**Athanaël**
نيسياس : فيلسوف	**Nicias**
تاييس : غانية	**Thaïs**
ألبين : رئيسة دير الراهبات	**Albine**
پالمون : رئيس دير الرهبان	**Palemon**

رهبان ـ راهبات ـ أصدقاء نيسياس ـ راقصات

زمن الأوبرا : نهاية القرن الرابع

المكان : الاسكندرية والصحراء المجاورة لها

الفصل الأول

المنظر الأول ـ صوامع الرهبان فى الصحراء

يجتمع حول مائدة العشاء اثنا عشر راهبا ، ويتساءلون عن سبب تأخير زميلهم « أثانيال » . وما هى الا برهة حتى يقبل الراهب المتخلف وقد تملكه اعياء شديد ، ثم يتهالك على مقعده . واذ يقدم اليه زملاؤه الطعام والشراب يرفض قائلا :

أثانيال : ان قلبى مفعم بالأسى . فلقد أتيت من المدينة الفاسدة التى ملأتها المرأة التى تدعى « تاييس» شرورا وآثاما.

ويصمت برهة كأنه يستجمع شوارد ذكرياته ثم يستطرد :

ـ حقيقة أنى عرفتها عندما كنت شابا . غير أن الله عصمنى عن الغواية ، فوجدت سلاما هنا فى الصحراء . وكم أكون سعيدا لو اننى قدت تلك الروح الساقطة الضالة الى طريق الخلاص !

لكن رئيس الدير لا يوافق على هذا الرأى ، فينصح الراهب قائلا :

رئيس الدير : من الأوفق ألا تندمج مع هذا الجيل الشرير يا أثانيال . فتلك هى الحكمة الخالدة !

وينهض الرهبان ثم ينصرفون الى فراشهم ، بينما يتوجه أثانيال الى صومعته ويرقد فوق حشية أمامها . وتتراءى له «تاييس» طوال الليل فى شكل رؤيا تقض مضجعه .

وفى مبرق الفجر يبث الراهب زملاءه الوداع ويتأهب للرحيل . لقد عقد العزم على تخليص «تاييس» !

المنظر الثانى ـ شرفة فى منزل «نيسياس» بالاسكندرية

يتوجه أثانيال الى منزل الفيلسوف «نيساس» . وعندما يصل الى الشرفة ، يقف فيها ويرمى ببصره الى المنظر القائم

امامه ويناجى نفسه قائلا :

ـ ها هى الاسكندرية !.. المدينة التى ولدت فيها ـ المدينة التى احتقرها لكل مافيها من ابهة وجمال . ألا ليت ملائكة السماء تطهر هواءها المسموم !

ولا يكاد ينتهى من نجواه حتى تنبعث من داخل المنزل ضحكات عابثة ، ثم يقبل نيسياس وقد لف كلا يديه حول جاريتين جميلتين ! وما أن تقع عينه على الراهب الأشعث حتى يبادره بالسؤال :

نيسياس : ماذا عساى أن افعل لصديقى القديم ؟

اثانيال : لقد اتيت الى هنا لأمكث يوما واحدا . وهدفى الوحيد أن أخلص تايس واقودها الى طريق الله . فأين يمكننى العثور عليها ؟

ويجيب الفيلسوف على سؤال الراهب بضحكة ساخرة ثم يقول :

نيسياس : لقد بعت آخر كرمة لأشترى صحبتها أسبوعا واحدا !.. وهى سوف تتناول العشاء عندى الليلة لآخر مرة !..

ويقول الراهب فى توسل :

اثانيال : اعرنى رداء استخفى به . فيجب على المرء أن يحارب قوى الشر بنفس أسلحتها .

ويحضر العبيد الملابس الفاخرة ، فيرتديها الراهب ويبدو فيها كأنه خلق من جديد !

ويحين موعد الحفلة ، فيتوافد المدعوون على منزل الفيلسوف ويتجهون صوب الشرفة . وفجأة يهمس نيسياس فى اذن الراهب :

نيسياس : احذر العدو الخطر !.. فها هى ذى مقبلة !

وتقبل « تايس » وقد ازدانت بكل ما يمكن أن تزدان به

امراة ، فتحيى نيسياس وتشتبك معه فى حديث لا تلبث أن تقطعه بسؤال مفاجىء عمن يكون ذلك الشخص الغريب . وهنا يقدم اليها نيسياس الراهب المتنكر قائلا :

نيسياس : انه فيلسوف ! وقد اتى ليلقنك التعاليم المقدسة !

تايس : وماذا عساها تكون تلك التعاليم ؟

فيجيب الراهب فى وقار :

أثانيال : احتقار الجسد ، وحب الألم ، وتكفير عن الذنوب.

وتبتسم تايس لصرامته ثم تسأله فى سخرية :

تايس : وماذا تعرف عن حكمة الحب ؟! .. الا فاجلس معنا وتوج نفسك باكليل من الورد ، واعلم أن ما من شىء أبقى وأوقع من الحب !

ويمور الاشمئزاز فى نفس الراهب عندما تطرق أذنه تلك الكلمات السافرة ، فينهض مسرعا مستأذنا فى الانصراف وهو يصيح بتايس :

اثانيال : سوف لايتم خلاصك الا فى منزلك !

ثم يرتاع عندما تتخذ أمامه وضعاكله فتنة واغراء .. **انه نفس الوضع الذى تراءت له فيه فى شكل رؤيا أمام صومعته فى الصحراء !**

الفصل الثانى

المنظر الأول ـ غرفة فى منزل تايس

تجلس تايس بمفردها وقد امتلأت الغرفة من حولها بالطنافس والرياش الفاخرة . لقد شربت كأس الحياة مترعة حتى ثملت ، وأشبعت جوعها الحسى حتى زهدت ، ثم بدأت تميل الى الصدوف عن مجالى السمر . وها هى ذى الآن

جالسة تتأمل وجهها فى مرآة صغيرة أمسكتها بيدها وكأنما تسائل نفسها : « ترى هل تخلى عنى جمالى ؟ ... »

وحالما يظهر بالباب الراهب اثانيال . وما أن تقع عينه عليها حتى يقول فى شبه صلاة :

ـ اللهم أسدل على جمالها ستارا !

ثم يتقدم نحوها بخطى وئيدة ، وينشأ يحدثها عن السعادة الروحية والحياة الأبدية . الا أنه لايستطيع أن يصمد طويلا أمام طغيان جمالها الصارخ ، فحالما تفور نفسه ، ويكاد يهم بتمزيق رداءه المستعار ويصيح بكل قواه لاعنا «الموت الحى» الذى يتمثل فى شخصها !

لكن تاييس ترتمى أمامه ، وتصرح له بأنها بدأت تحس نشوة جديدة تشع فى نفسها . ثم تبكى فى مرارة وحرقة وكأنها تريد أن تغسل بدموعها كل ما علق فى نفسها من أدران الخطيئة .

المنظر الثانى ـ أمام منزل تاييس

يرقد اثانيال تحت رواق أمام منزل تاييس . الليل مهيب وليس هناك من ضوء سوى أشعة القمر الباهتة تتسلل اليه من جوانب الرواق .

وتدخل تاييس وقد أمسكت بيدها مصباحا ينير لها الطريق . وعندما تصل الى الراهب تقول له بصوت هامس:

تاييس : أيها الأب ، لقد استقرت كلماتك فى قلبى وأشاعت فيه نورا عظيما . فماذا عسانى أن أفعل ؟

اثانيال : ان فجر السلام قريب . وعندما يسفر ، سأرافقك الى دير تحيين فيه حياة بركة وسلام . ولكن عليك أولا أن تحطمى كل أثر لحياتك الآثمة !

وتتوسل اليه تاييس أن يستثنى مما ستحطمه تمثال

«ايروس» اله الحب ، الذى أهداه لها نيسياس . غير أن اثانيال يرفض طلبها فى اصرار ، فيمسك بالتمثال ويهوى به على الأرض فى حنق .

وبعد قليل يظهر «نيسياس» وبصحبته راقصة وأصدقاء وعبيد يحملون مشاعل . وقبل أن يتم الفيلسوف تحيته ، يقاطعه الراهب قائلا فى صرامة وحزم :

اثانيال : ان تايس لم تعد ملكا لك . انها لم تعد تايس الدنيوية .. انظر اليها الآن وكأنها ولدت من جديد !

وتتقدم تايس وقد ارتدت ثوبا من الصوف الخشن وعصبت رأسها برباط أسود ثم تقف برهة بجوار اثانيال تحملق معه فى ألسنة النار التى بدأت تندلع من داخل المنزل. لقد أشعلت الغانية النار فى كل مادنسته يد الرذيلة !

واذ يهم الاثنان بمغادرة المكان ، يندفع نيسياس نحو تايس ويقول لها فى توسل وقد أمسك بها :

نيسياس : لا تتركينا !

لكن اثانيال ينهره صائحا :

اثانيال : لا تضع يدك الآثمة على عروس الله !

ويقف الجميع صامتين يشاهدون النار المضطرمة وهى تلتهم المنزل . وعندما تبدأ الجدران فى الانهيار ، ترحل تايس مع اثانيال فى خشوع .

الفصل الثالث

المنظر الأول ـ واحة فى الصحراء

فى وقدة الشمس المحرقة ، ووسط الرمال المترامية الضاربة فى جوف الصحراء ، يتقدم أثانيال ومن ورائه تايس فى طريقهما الى الدير وقد أعياهما السير وهدهما العطش . وتحاول تايس أن تعبر للراهب عن مقدار التعب الذى ألم

بجسدها ، فلا يجيبها الا فى خشونة وقسوة بالغين :

اثانيال : احتقرى جسدك ، وكفرى عن ذنوبك !

لكن تايس يشق عليها احتمال التعب، فتتهالك على الأرض فى اعياء . ولا يجد اثانيال بدا من أن يعاملها فى شىء من اللين ! .

اثانيال : ربما اكون اجهدتك كثيرا . دعينى اذن احضر لك شيئا من الماء البارد والفاكهة لتستردى نشاطك .

ويمضى اثانيال ، فتنتظر تايس عودته فى هدوء . لقد امتلأت نفسها سلاما وحياة جميلا ! وحالما يعود اثانيال وقد حمل اليها قدحا من الماء وبعض الفاكهة . ثم يسمع من بعيد صوت صلاة منبعثة من دير الراهبات .

وبعد قليل تقبل الراهبات . ويتقدم اثانيال من «البين» ـ رئيسة الدير ـ ويعهد اليها بتايس التائبة . واذ تهم تايس بالانصراف مع بقية الراهبات تودع اثانيال قائلة :

تايس : سنتقابل ثانية فى المدينة السماوية !

ويبقى اثانيال يتبع تايس بعينيه وهى تتقدم نحو الدير ويقول فى صوت خافت متهدج :

ـ سوف لا اراها بعد اليوم !

المنظر الثانى ـ حديقة دير الراهبات

تجثو الراهبات للصلاة تحت شجرة تين ظليلة مرتفعة . وفى ظل الشجرة ترقد تايس وهى فى النزع الأخير . فقد اصابتها حمى اوشكت ان تقضى عليها .

وتقول رئيسة الدير فى خشوع :

البين : ثلاثة شهور امضتها وهى تبكى وتبتهل الى الله ، لقد سحقت جسدها التوبة !

وفى هذه اللحظة يظهر اثانيال بباب الحديقة ! فتتجه نحوه

رئيسة الدير لتحييه . ويبدو وجه الراهب شاحبا وقد ارتسمت عليه علامات الأسى والحزن الدفين .

وتنسحب رئيسة الدير ومن ورائها الراهبات ، فى حين يتقدم اثانيال فى تثاقل واعياء نحو تايس . واذ تراه المحتضرة تسأله فى صوت متحشرج وقد دنت نهايتها :

تايس : هل تذكر تلك الرحلة المشرقة التى قدتنى فيها الى هنا ؟...

وكانما حركت بسؤالها امواج نفسه الملتاعة، وجعلت ماكان كامنا فى اعماقه يطفو على السطح ، فصاح مجيبا :

اثانيال : اننى لاأذكر سوى جمالك !..

لكنها وهى فى النزع الأخير لاتتبين شيئا مما يقول ، وانما تسرد عليه وصفا بهيجا للملائكة الذين يخيل اليها أنها تراهم بعينيها الكليلتين .

وفى فورة من العاطفة اليائسة يصرح لها اثانيال بحبه الدفين !

ولكن تايس لاتسمعه .. فقد صعدت روحها الى السماء!

ويسدل الستار على الاثنين ..

.. على الغانية التى ضلت ، ثم زهدت ، فاستقامت ...

والراهب الذى استقام ، ثم زهد ، فضل !

جیاکو موبوتشینی

توسکا

Giacome Puccini

TOSCA

«توسكا» مأساة غنائية فى ثلاثة فصول تقوم على مسرحية الكاتب المعروف «فكتوريان ساردو» Victorien Sardou التى تصور الحب والانتقام . وقد نظم كلماتها «چيوسيبى چياكوزا» Giuseppe Giacosa و «لويجى اليكا» Luigi Illica ووضع ألحانها الموسيقى الايطالى المشهور « چياكومو پوتشوينى» . وقدمت لأول مرة على مسرح «كوستانزى» Costanzi بروما فى ١٤ يناير عام ١٩٠٠ .

شخصيات الأوبرا :

ماريو كافارادوسى : رسام	Mariou Cavaradossi
البارون سكارپيا : رئيس البوليس	Baron Scarpia
تشيزارى انچيلوتى : سجين هارب	Cesare Angelotti
فلوريا توسكا : مغنية	Floria Tosca
سپوليتا : ضابط بوليس	Spoletta

زمن الأوبرا : يونيه ١٨٠٠
المكان : روما

الفصل الأول
المنظر ـ كنيسة القديس أندريا بروما

يدخل السجين الهارب «انچيلوتى» وهو يلهث من فرط الخوف والاعياء ويحدث نفسه قائلا :

ـ لقد قالت لى أختى انهاستترك لى المفتاح بجوار العمود!

ثم يتجول بين أعمدة الكنيسة وفجأة يصيح فى ارتياح :

ـ آه !.. هاهوذا !.. وهاهوذا معبد عائلة اتافانتى !

ويتلفت حوله فى وجل ليتأكد من أن أحدا لايتعقبه ، ثم يدفع بالمفتاح الى البوابة ويفتحهاولا يلبث أن يختفى بالداخل.

وهنا يدخل كاهن الكنيسة وينظر الى اللوحة الزيتية الموضوعة فوق قاعدة خشبية وقد القى فوقها غطاء من القماش ، فيعلم أن الرسام لم يصل بعد . ويدق ناقوس ، فيجثو الكاهن على ركبتيه ويغمغم مصليا .

وبعد لحظة يصل الرسام «ماريو كافارادوسى» مسرعا ، ثم يتجه نحو لوحته ويكشف عنها الغطاء ... انها صورة العذراء ذات عينين زرقاوين وشعر ذهبى !

وينتهى الكاهن من صلاته ثم يتقدم نحو الرسام ويقول له:

الكاهن : أرى انك لا ترسم سوى تلك السيدة التى كثيرا ما تأتى هنا للصلاة !

ماريو : نعم ، فقد رسمتها ذات صباح وهى جاثية على ركبتيها

ويمضى الرسام قليلا فى عمله ثم يضع فرشاه قائلا :

ماريو : ان الصورة مزيج رائع من شعرها الذهبى وبشرة حبيبتى «توسكا» السمراء !

ويخرج الكاهن ، فيبقى الرسام بمفرده . وهنا يلمحه السجين الهارب انجيلوتى وهو خارج من المعبد فيتذكره

كصديق قديم ويندفع نحوه. وبعد برهة من الشك والدهشة يتحقق الرسام من أن حياة السجن قد غيرت تماما ملامح صديقه القديم انجيلوتى . ويعرف منه تفاصيل هروبه فيغلق باب الكنيسة لحمايته . وهنا يسمع صوتا مألوفا يناديه :

ـ ماريو ! ماريو !

فيهمس الرسام فى اذن صديقه انجيلوتى :

ماريو : أسرع فانها توسكا !.. عليك أن تختبىء الآن حتى تذهب من هنا !

ويتوجه انجيلوتى مرة ثانية نحو المعبد، بينما يذهب ماريو نحو الباب ليفتح لحبيبته . وتدخل توسكا فى زهو وخيلاء ، وهى تعبث بالريش الموضوع فى قبعتها ! وكيف لا وهى المغنية التى يتطلع اليها الجميع فى روما ؟!

وتسأل توسكا فى حنق :

ـ لماذا كان الباب مغلقا ؟ ومن الذى كان يتحدث معك فى الداخل ؟

ويحاول الرسام أن يهدىء من قلقها على الرغم من أنه أكثر قلقا على صديقه انجيلوتى . وطبيعى أن يصرفه هذا القلق عن الترحيب بتوسكا والاهتمام بها . لكن عدم الاهتمام هذا يذكى من حب توسكا له والحرص عليه ، فترجوه أن يقابلها تلك الليلة فى المكان الذى اعتادا أن يتقابلا فيه . وعلى الرغم من أن شوق ماريو الى لقاء حبيبته لايقل عن شوقها اليه ، الا أنه يحاول التخلص منها مما يسىء اليها ، فيداخلها الشك وتظن أنه يريد منها أن تخلى له الجو لاستقبال «النموذج» التى يقوم برسمها . واذ تتشبث عيناها بصورة الفتاة ذات الشعر الذهبى تصيح قائلة :

ـ انها الماركيزة أتافانتى !

ويعترف لها ماريو بأنه استخدم فى رسم الصورة ملامح المرأة التى طالما رآها تصلى فى المعبد ثم يردف قائلا :

ـ ولكن عينيها أقل جمالا من عينيك !

ثم يحاول أن يحول نظرها عن الصورة فيقول لها :

ـ وليس هناك سبب يدعوك الى الغيرة !

وهنا تسمع موسيقى ساحرة تطفىء نار الغيرة المتأججة فى صدر توسكا . وتحت تمثال العذراء يجدد الحبيبان عهد الحب القائم بينهما بقبلة طويلة حالمة . ثم تمضى توسكاوهى تقول لحبيبها انها تفضل لو أنه رسم عينى العذراء سوداوين كعينيها !

وما أن يخلو الجو حتى يسرع ماريو الى المعبد وينادى انجيلوتى وهو يقول له :

ماريو : ان توسكا لا تكتم السر أبدا ، ولذا لم أبح لها بأى شىء . والآن .. ماهى خطتك ؟!

ويجيب السجين الهارب قائلا :

انجيلوتى : لقد تركت لى أختى ثوب امرأة تحت المذبح . وعندما ارتدى هذا الثوب يمكننى الفرار من قبضة البارون سكاربيا !

ماريو : من الأوفق أن لاتنتظر هبوط الليل . فانك ستجد ممرا ضيقا يبدأ من المعبد ويؤدى بك الى منزلى . وهاك المفتاح . فعليك أن تختبىء هناك . واذا شعرت بخطر أسرع الى الحديقة . وفى منتصف الطريق تجد ممرا يؤدى بك الى مخزن تستطيع أن تلجأ اليه لتنجو من الخطر ...

ويقطع كلام ماريو صوت طلقة مدفع فيصيح مذعورا :

ماريو : لقد اكتشفوا هروبك فيجب أن ترحل على الفور .. هيا لأصحبك !

ويخرج الصديقان ، وبعد قليل يدخل البارون سكاربيا

ـ رئيس البوليس ـ تحوطه ثلة من الجنود . ويأمر سكاربيا الضابط سبوليتا بتفتيش الكنيسة . وحالما يعثر رئيس البوليس على مروحة :

ـ انها تخص المركيزة أتافانتى !

ثم ينظر الى صورة العذراء المرسومة ويستطرد :

ـ وذاك وجهها !

وهنا يحضر الضابط سلة طعام فارغة من المعبد . ويتعرف عليها الكاهن فيضطرب ويقول متلعثما :

الكاهن : ان انجيلوتى هنا ، وهو الذى أكل طعام الرسام !

وفى هذه اللحظة تعود توسكا فلا تجد حبيبها . ويبرزلها البارون سكاربيا المروحة عسى أن تثير غيرتها فتفضى بشىء ثم يسألها ماذا تعرف عنها . لكن توسكا تجيبه قائله :

ـ لقد أتيت الى هنا لأخبر الرسام ماريو اننى سأغنى الليلة فى الاحتفال فلن اتمكن من مقابلته .

وتخرج توسكا ، فيطلب البارون سكاربيا من الضابط سبوليتا أن يتعقبها ويأتى له بالنتيجة فى قصر «فرنيز» .

الفصل الثانى

المنظر ـ مسكن البارون سكاربيا بقصر فرنيز

يحدث البارون سكاربيا نفسه وهو يتناول طعام العشاء فيقول :

ـ ان توسكا ساحرة جذابة !.. ولا بد أن يكون جنودى قد القوا القبض على الرجلين المتآمرين ..

وهنا يدخل الضابط سبوليتا ويعلن قائلا :

ـ لقد تعقبنا السيدة الى الفيلا ، ولكننا لم نعثر على الرجل الذى نبحث عنه . غير أننا القينا القبض على الرسام

«ماريو كافارادوسى» . ومن المؤكد انه يعرف اين يختبىء ذلك الرجل .

فيأمر البارون سكاربيا باحضار الرسام ، ثم يرسل أحد الضباط لاستدعاء القاضى والجلاد ..

ويقف الرسام ماريو أمام البارون فينكر معرفته لأى شىء يتعلق بانجيلوتى ، مما يثير غضب البارون .

وهنا تظهر توسكا وقد ارتدت ملابس الاحتفال . **واذ تتقدم من حبيبها لتعانقه ، يحذرها بألا تتفوه بشىء مما رأته فى الفيلا .**

وأخيرا يعلن البارون قائلا :

البارون : أيها الرسام ماريو كافارادوسى ... ان القاضى ينتظرك ليأخذ شهادتك !

ثم يشير الى غرفة على اليمين ، ويصدر أمره الى الجلاد بأن يقود الرسام الى داخلها !

ويبقى البارون وتوسكا بمفردهما ..

البارون : دعينا نتحدث كصديقين .. هل أنت متأكدة من من أن أحدا لم يكن فى الفيلا ؟!

توسكا : نعم !

البارون : قولى الصدق فبهذا وحده تستطيعين انقاذ حبيبك من التعذيب !

وترتعد توسكا لفكرة التعذيب الذى سيلحق بحبيبها فتسأل وقد غمر وجهها الأسى :

توسكا : وماذا أنتم به فاعلون ؟

لكنها لاتلبث أن تسمع أنات صادرة من الحجرة التى دخل فيها الرسام ..

وعبثا تحاول توسكا الاقتراب من باب الغرفة ..

ويصدر البارون أمره الى الجلاد بالاستمرار فى التعذيب

ثم يطلب من الضابط أن يفتح باب الغرفة ..
وينبعث من داخل الغرفة صوت يمور فيه الألم .. انه صوت الرسام !
ويكرر البارون سؤاله لتوسكا . لكن المغنية تصر على اجابتها ..
وتتكرر انات الرسام ، فلا تقوى توسكا على احتمال تعذيبه وتبوح بصوت يائس :

توسكا : تجدون انجيلوتى مختبئا فى بئر بالحديقة ..

فيصيح البارون بالجلاد :

ـ كفى !

ويحضر الجنود الرسام بعد أن كاد يفقد وعيه من فرط التعذيب ، فتمطره توسكا بسيل من القبلات الملهوفة .
ويصدر البارون أمره الى الضابط سبوليتا باحضار انجيلوتى من حديقة الفيلا ..
ولا يكاد الرسام يسترد وعيه ويتبين ماحدث حتى يصيح بتوسكا قائلا :

ماريو : لقد خدعتنى !

ويطلب البارون من أتباعه ابعاد الرسام فيخلو له الجو مع توسكا .. واذ يقدم لها كأسا من الخمر يقول :

البارون : دعينا نتحدث عن انقاذ حبيبك !

توسكا : ماذا تعنى ؟..

البارون : أعنى اننى لا أطلق سراحه دون مقابل !

توسكا : وما هو الثمن الذى تطلبه ؟

البارون : اننى لا أطلب نقودا !

ثم ينهض من مقعده ويقترب منها وهو يبدى لها اعجابه الزائد بجمالها وجاذبيتها . واخيرا يطلب منها صراحة أن تمضى معه الليلة !

وترتعد توسكا لهذا الطلب السافر ، فتسرع نحو الباب وهى تقول حانقة :

توسكا : اننى أفضل الموت على تحقيق هذا الطلب !

البارون : ولكنه ثمن انقاذ حبيبك !

ثم يتجه نحوها ويحاول احتضانها بالقوة فتصيح مستغيثة .

ويقطع هذا الموقف قرع طبول ، فيخبرها البارون بأن موعد اعدام الرجلين قد حل !..

وفى لوعة وأسى تنتحب توسكا وهى تقول :

– اننى لم أفعل شرا بأحد فى حياتى .. فلماذا تتخلى عنى السماء ؟!..

ثم تتوسل الى البارون أن يعفو عن حبيبها ..

لكن البارون يكرر طلبه الذى لايتخلى عنه ..

وهنا يدخل الضابط سبوليتا فيعلن ان انجيلوتى قد تجرع السم عندما ألقوا القبض عليه ، وان الرسام ينتظر قرار البارون بشأنه .

فيسأل البارون توسكا :

– ماذا عندك من قول ؟

وتبكى توسكا فى حرقة عندما تتذكر العار الذى سوف يلحق بها ان هى طلبت انقاذ حبيبها ..

ولكن بكاءها يزداد عندما يتمثل لها حبيبها وهو بين يدى الجلاد ، فتومىء الى البارون بأنها توافقه على طلبه ..

وهنا يقول لها البارون ان موقفه سيكون حرجا ان هو أطلق سراح حبيبها دون سبب ظاهر . فيقترح عليها أن يتوجه الرسام الى مكان الاعدام ويصطنع الموت عندما يطلق عليه الجلادون النار ، ويعدها بأن يصدر أمره الى الجلادين لاستخدام طلقات ((كاذبة)) . ثم يجلس الى مكتبه ليكتب قرار الاعدام. وتلمح توسكا سكينا على المائدة فتتجه

نحوها بحجة أخذ كأس من الخمر . وفى حركة سريعة غير ظاهرة تخفى السكين فى ملابسها .

وينتهى البارون من كتابة القرار ، ثم يتجه نحو توسكا ليطفىء ظمأه منها ..

لكنه لا يكاد يحتضنها حتى تغمد توسكا السكين فى صدره فيسقط على الأرض وقد انطفأت فيه الحياة !

الفصل الثالث

المنظر ـ ساحة السجن

يدخل السجان حاملا مشعلا ، ويتبعه أحد الجنود وهو يقود الرسام الى المصير الذى ينتظره .

ويتوسل الرسام الى الحارس أن يحمل له رسالة الى توسكا ، ويقدم اليه خاتما ثمينا كأجر على هذه المهمة . ثم يعكف على كتابة الرسالة . لكن ذهنه يسبح به الى آخر لقاء له مع حبيبته ..

وفجأة تظهر توسكا ومعها الضابط سبوليتا وأحد الحراس. وينسحب الرجلان ، فتبقى توسكا مع حبيبها .

ويقرأ العاشقان قرار الاعدام ، ثم تخبر توسكا حبيبها بأنها قتلت البارون سكاربيا ..

توسكا : سوف تذهب الآن للاعدام المصطنع !.. فعليك أن تسقط على الأرض بمجرد اطلاق النار .. وبعد ذلك سنكون أحرارا فى البحث عن مستقبل باسم جميل !

وتتملك الحبيبين النشوة فلا يشعران بفرقة اطلاق النار وقد وصلت وأخذت مكانها ..

ويقود الضابط الرسام الى حائط فى مواجهة المعتقل الذى تنتظر فيه توسكا لتشاهد الاعدام المصطنع ..

ويتأهب الجلادون .. ثم يطلقون النار !
وتقول توسكا لنفسها عندما يسقط الرسام على الأرض:
– كم هو بارع فى التمثيل !
ويغادر الضابط ساحة السجن يتبعه الحارس والجلادون بعد أن يضعوا غطاء فوق جسد الرسام .
وتسرع توسكا نحو حبيبها المسجى على الأرض وقد تملكها شعور بالنصر !..
لكنها لا تكاد تكشف عنه الغطاء وتقترب منه حتى تتبين أن أنفاسه قد خمدت ..
لقد خدعها البارون وأمر باعدام حبيبها !
وهنا يسمع من بعيد صوت ضابط يعلن اكتشاف قتل البارون سكاربيا !
وتحوم الشبهات حول توسكا ، فينطلق الجنود نحوها الى حيث أعدم الرسام ..
ولكن توسكا المفجوعة تدرك أن حياتها قد انتهت بموت حبيبها ، فتسرع نحو الحصن وتلقى بنفسها من فوقه .

ستار

جيوا كينو روسيني

حلاق أشبيلية

Gioacchino Rossini

IL BARBIERE DI SIVIGLIA

«حلاق أشبيلية» أوبرا مرحة تقوم على مسرحية الكاتب الفرنسى « بومارشيه » Beaumarchais التى تحمل نفس الاسم ، والتى استقبلتها باريس عام ١٧٧٥ بعاصفة من الاعجاب . وقد نظم كلماتها بالايطالية « تشبزارى ستربينى» Cesare Sterbini ووضع ألحانها الموسيقى الايطالى المعروف « چيواكينو روسينى » Gioacchino Rossini فى أقل من ثلاثة أسابيع . ومع ذلك فانها صارت أشهر أوبراته على الاطلاق . وقد قدمت لأول مرة على مسرح « ارچنتينا» بروما فى ٦ فبراير عام ١٨١٦ .

ومما يجدر بالذكر ان افتتاحية هذه الأوبرا كان قد وضعها روسينى لأوبرا أخرى بعنوان « اليزابيث ملكة انجلترا » Elisabetta Regina d'Inghilterra .

شخصيات الأوبرا :

الكونت المافيفا	**Count Almaviva**
فلوريللو : خادمه الخاص	**Florello**
فيجارو : حلاق أشبيلية	**Figaro**
روزينا : فتاة ثرية يتيمة	**Rosina**
الدكتور بارتولو : الوصى عليها	**Dr. Bartolo**
بازيليو : معلم موسيقى	**Basilio**
برتا : مربية روزينا	**Berta**

زمن الأوبرا : القرن السابع عشر
المكان : أشبيلية

الفصل الأول

المنظر ـ ميدان فى أشبيلية

فى منزل أنيق بمدينة أشبيلية يقوم الدكتور « بارتولو » بالوصاية على فتاة جميلة تدعى « روزينا » . وقد أثار جمال الفتاة ـ أو على الأصح ثراؤها ـ اهتمام الطبيب فشغف بها وعول على الزواج منها ! الا أن هناك شخصا آخر ينازعه قلب الفتاة وهو « الكونت ألماڤيڤا » .

وقبل أن ينبلج الفجر ، نرى « فلوريللو » خادم الكونت الخاص وقد صحب جماعة من الموسيقيين ليعزفوا أنغاما عذبة حالمة تحت نافذة روزينا . وبعد قليل يصل الكونت نفسه ويشرع فى الغناء . الا أن روزينا لا تطل من النافذة ، فيأمر الكونت الموسيقيين بالانصراف !

وهنا يظهر « فيجارو » حلاق أشبيلية الفضولى المرح الذى يتدخل فى كل شىء ، ويعتقد أنه يستطيع قضاء كل شىء ! فيختبىء الكونت ليستمع الى الحلاق وهو يغنى فى نشوة أغنيته المعروفة :

« فيجارو هنا .. فيجارو هناك .. فيجارو فى كل مكان! »

فيفكر الكونت فى أن يعهد اليه بدور الوسيط بينه وبين روزينا ، فيخرج من مكمنه ويصرح له بحبه لروزينا ، ثم يسأله عن كيفية الوصول اليها . فيجيبه الحلاق فى ثقة قائلا :

فيجارو : يالك من سعيد الحظ ! فاننى أقوم فى منزلها بعمل الحلاق ، والطبيب ، والصيدلى ، والبيطار ! ...

وفيما هما يتحدثان ، يخرج الدكتور بارتولو من المنزل ويقول لفيجارو :

بارتولو : اذا أتى السيد بازيليو فدعه ينتظرنى . فاننى اليوم مشغول بزواجى من روزينا !

واذ يرحل الطبيب ، يسأل الكونت الحلاق :

الكونت : من يكون بازيليو هذا ؟

فيجارو : رجل يسعى الى تزويج الناس ، ويقوم بتعليم روزينا الموسيقى !

ثم يحث الكونت على اتخاذ موقف ايجابى حاسم ان هو أراد الا تفلت روزينا من يده ، ويقترح عليه أن يغنى لها مرة أخرى . فيتوجه الكونت بالغناء الى روزينا معلنا لها أن اسمه « لندورو » ! وتنصت روزينا الى الغناء من وراء الستار ، ولا تكاد تظهر وتهم بالرد عليه حتى يقطع غناءها نداء بالداخل فتختفى من جديد !

ويتملك الكونت العاشق الحنق ويطلب من الحلاق أن يساعده على دخول المنزل .

فيجارو : لقد وجدت الحل ! .. هناك فصيلة من الجنود ستصل اليوم ، فعليك أن ترتدى زى جندى وتتظاهر بأنك ثمل ثم تدخل المنزل وكأنك تترنح من فرط الشراب . ولسوف يصدق الطبيب كل كلمة تصدر منك !

وينتشى الكونت لهذه الفكرة ، فينخرط مع الحلاق فى غناء ثنائى « دويتو » مرح !

الفصل الثانى

المنظر ـ غرفة بمنزل الدكتور بارتواو

تجلس روزينا بمفردها حالمة تسترجع الغناء الذى سمعته تحت نافذتها . لقد أثر فيها ذلك الصوت المجهول ونفذ الى أعماق قلبها ، فتغنى فى نشوة :

« هناك صوت أحتفظ به فى قلبى ..

صوت لا يجب أن يسمعه سواى ! .. »

وما ان تنتهى من غنائها حتى يقبل فيجارو . لكنه اذ يلمح

الدكتور بارتولو من بعيد يبتعد مسرعا . ويصل الطبيب فيؤنب روزينا قائلا :

بارتولو : هل كنت تتحدثين مع ذلك الفيجارو اللعين ؟

فتجيب روزينا فى غير مبالاة وهى تهم بالانصراف :

روزينا : ولم لا ؟ .. اننى أميل اليه !

وهنا يظهر بازيليو ـ معلم الموسيقى ـ ويخبر الطبيب بأن « الكونت الماڤيڤا » فى المدينة !

بارتولو : ماذا ؟ .. ذلك الشخص الوقح الذى يغنى لروزينا فى مبرق الفجر ؟! . ماذا عسانا أن نفعل لنوقفه ؟

فيجيبه المعلم الواسع الحيلة قائلا :

بازيليو : علينا أن نلفق له فضيحة نلوث بها سمعته !

ثم يقرر الاثنان الذهاب لاعداد عقد الزواج بين الطبيب وروزينا !

الا أن فيجارو ـ الذى كان يسترق السمع من ثقب الباب كعادته ـ يخبر روزينا على الفور بأن الطبيب الوصى عليها يتأهب للزواج منها ! فتصيح الفتاة مستنكرة :

روزينا : ياله من ابله مسكين ! .. ولكن ، خبرنى أيها السيد فيجارو : من عسى أن يكون ذلك الشاب الذى يغنى لى تحت النافذة ؟ !

فيجارو : اوه ، انه قريب لى اسمه « لندورو » .. ولكن قلبه مشغول فى الوقت الحاضر !

روزينا : بمن ؟

فيجارو : برو .. زى .. نا !!

وأخيرا يقترح عليها أن تكتب له خطابا مناسبا كدليل على أنها تبادله الحب . وعندما تفرغ الفتاة من كتابة الخطاب ، يتسلمه الحلاق وقد غمره الشعور بالفوز .

ويدخل الدكتور بارتولو فيلقى على الفتاة فيضا من

الأسئلة : لماذا اتسخت يدها بالحبر ، ولماذا اختفت ورقة من أوراق الكتابة ، ولماذا برى القلم حديثا ؟ ...

فتجيبه الفتاة على الفور بأنها استخدمت الحبر عندما حرقت يدها ، وانها لفت بالورقة بعض الأشياء ، وبرت القلم ليساعدها على نقل نقش للتطريز !

ويغمرها الطبيب بسيل من الغضب ثم ينصرف فتمضى المسكينة فى اثره .

وتسمع المربية « برتا » طرقا على الباب فتتوجه اليه لترى من الطارق . وحالما ترى أمامها جنديا ثملا ! . . انه « الكونت الماڤيقا » الذى جاء متنكرا طبقا لخطة فيجارو !

ويعود الدكتور بارتولو وبصحبته روزينا ، فيصر الجندى المترنح على أن ذلك هو مسكنه ! وعبثا يحاول الطبيب حمله على مغادرة المنزل ، ثم يأمر روزينا بالانصراف من الغرفة ، **ولكن بعد أن يكون الكونت المتنكر قد نجح فى أن يدس بين يديها قصاصة مكتوبة !**

وهنا يقبل الحلاق مسرعا :

فيجارو : لم كل هذا ؟ . .

وفى أعقابه يدخل ضابط وبعض الجنود فيلقون القبض على الكونت . لقد حضروا بناء على طلب الطبيب لينقذوه من الجندى المخمور . ولكن الكونت المتنكر ينفرد بالضابط ويفصح له عن شخصيته فيخلى الضابط سبيله فى الحال مما يلجم ألسنة الجميع !

الفصل الثالث

المنظر ـ قاعة الموسيقى فى منزل الطبيب

يجلس الدكتور بارتولو وهو يتنفس الصعداء بعد أن نجح اخيرا فى التخلص من الجندى العربيد . وبعد برهة يسمع

قرعا على البـاب . **انه الكونت أيضا ! .. ولكنه جاء متنكرا هذه المرة فى زى معلم موسيقى !**

الكونت : اننى تلميـذ السيد بازيليو الذى كلفنى باعطاء درس الموسيقى بدلا منه لشدة مرضه . وان « الكونت الماڤيفا » يقيم الآن فى نفس الحانة التى اقيم فيها ! وقد وجدت هذا الصباح خطابا كتبته اليه الفتاة التى تقوم أنت بالوصاية عليها . ولكى أساعدك سأحطم لك سمعته !

الطبيب : يالك من تلميذ نجيب للسيد بازيليو !.. سأذهب على الفور وأنادى لك روزينا .

وبعد قليل يعود الطبيب ومعه روزينا . ولكنه لايريد أن يجلس المعلم مع الفتـاة بمفردهما ، فيطلب من فيجارو أن يتأهب ليحلق له ذقنه فى القاعة !

الطبيب : احضر لى منشفة ، وهاك المفاتيح !

ويغادر الحلاق الغرفة ، وبعد لحظات يسمع الطبيب صوت أوانى ترتطم بالأرض ! فيعصف به الغضب ويصيح حانقا :

الطبيب : لقد كسر اللعين الأوانى الصينية !

ولكنه لايريد أن يترك الغرفة ليعاين الخسارة حتى لاينفرد معلم الموسيقى بروزينا ! .. وأخيرا يتركهما لحظة ، فيتبادل العاشقان كلمات الحب فى سرعة ولهفة !

ويعود فيجارو بعد أن يخفى مفتاح الشرفة من بين حزمة المفاتيح التى أعطاها اياه الطبيب ! ..

ويبدأ الحلاق مهمته فيغمر وجه الطبيب بالصابون ، ثم يحرك الموسى على أنغام الموسـيقى الخفيفة المرحة . **الا أنه لا يكاد يمضى فى عمله حتى يظهر المعلم بازيليو !**

الطبيب : لماذا غادرت منزلك وأنت مصاب بالحمى ؟ !

ويرتبك بازيليو ولا يدرى بمـاذا يجيب ! ولكن الكونت

المتخفى يسرع باعطائه كيسا مملوءا بالنقود فيفهم بازيليو كل شيء ويتظاهر بالمرض ثم يتأهب للانصراف بين تمنيات الجميع له بالشفاء العاجل ! ..

« وداعا أيها السيد ، ونوما سعيدا ! .. »

ويمضى فيجارو فى حلاقة الذقن متعمدا تحويل نظر الطبيب عن العاشقين ! .. فيهمس الكونت لروزينا قائلا :

الكونت : سنحضر عند منتصف الليل تماما لنهرب معا . وما دامت المفاتيح معنا فلن نخاف شيئا !

غير أن الطبيب العجوز يعاوده الشك من جديد ، فيأمرهم جميعا بمغادرة الغرفة، وينادى المربية برتا لتوصلهم الى الباب.

ولكن .. كلا ! سوف يريهم الطريق بنفسه !

برتا : اى مستشفى للمجاذيب هذا ؟ ! .. ان الحب لوثة من الجنون ، ومع ذلك .. فأنا أيضا أحب !

ويقبل الليل ، فتدوى أركان السماء بعاصفة مزمجرة راعدة ..

وفى النهاية يفتح خصاص النافذة ، ويتسلق الكونت وفيجارو داخلين غرفة روزينا . ولشدما تكون دهشتهما عندما تصيح بهما :

ـ أغربا عن وجهى أيها الصعلوكان !..

لقد بلغتها اشاعة مؤداها أن «لندورو» يريد أن يبيعها الى « الكونت الماڤيفا » !

فيقترب منها الكونت محاولا تهدئتها وهو يقول لها مفسرا:

الكونت : أنا «الماڤيفا» ، وما «لندورو» الا مجرد اسم !

واذ يتعانق العاشقان يصيح بهما الحلاق :

فيجارو : أسرعا لئلا يسمعنا أحد ويقف فى طريقنا !

وعندما يهم الثلاثة بالنزول من النافذة يتفقدون السلم فاذا به قد اختفى !

وفيما هم فى حيرة من أمرهم يظهر بازيليو من بعيد ومعه الكاتب الذى أمر الطبيب باحضاره ليكتب عقد زواجه من روزينا !

الا أن الكونت وفيجارو يعترضان طريقهما ويحملان الكاتب على توقيع عقد الزواج بين الكونت وروزينا !

الكونت : هاك خاتم ثمين اذا أتممت زواجنا ، ورصاصة فى رأسك اذا رفضت !

وفى النهاية يتم عقد الزواج بين الحبيبين !..

ويعود الطبيب ومعه ضابط للقبض على المشاغبين !... الا أنهما وصلا متأخرين ! فان ازالة السلم من تحت النافذة لم يمنع العاشقين من تحقيق رغبتهما !..

وأخيرا يهدأ غضب الطبيب الجشع عندما تتنازل لهروزينا عن جانب من ثروتها الدسمة !

ستار

جیاکومو پوچینی

مدام بترفلای

Giacomo Puccini

MADAME BUTTERFLY

« مدام بترفلاى » مأساة غنائية فى ثلاثة فصول تقوم على المسرحية الأمريكية التى تحمل نفس الاسم ، والتى كتبها «داڤيد بيلاسكو» David Belasco و «چون لوثر لونج » John Luther Long . وقد نظم كلمات الأوبرا بالايطالية «چيوسيبى جياكوزا » Giuseppe Giacosa و«لويجى اليكا» Luigi Illica ، ووضع ألحانها الموسيقى الايطالى المعروف «چياكومو پوتشينى» Giacomo Puccini وقدمت لأول مرة على على مسرح «سكالا» La Scala بميلانو فى ١٧ فبراير عام ١٩٠٤ .

شخصيات الأوبرا :

Pinkerton	**پنكرتون** : ملازم بالبحرية الأمريكية
Goro	**جورو** : سمسار زواج يابانى
Sharpless	**شاربلس** : قنصل أمريكا فى اليابان
Mad. Butterfly	**مدام بترفلاى (أو تشوتشوسان)**
Suzuki	**سوزوكى** : خادمتها
Yamadori	**يامادورى** : نبيل يابانى
The Bonze	**الكاهن** : عم مدام بترفلاى
K. Pinkerton	**كيت پنكرتون** : زوجه بنكرتون الأمريكية

زمن الأوبرا : العصر الحاضر

المكان : مدينة «ناجاساكى» باليابان

الفصل الأول

المنظر ـ قبيلا تطل على حديقة

عندما وجد « بنكرتون » الضابط بالبحرية الامريكية أن سفينته ستبقى راسية بمياه اليابان بضعة أشهر ، فكر فى الزواج المؤقت من احدى اليابانيات . وهو الآن بصحبة السمسار «جورو» الذى عثر له على زوجة مناسبة ، والذى يؤكد له انه يستطيع ترك زوجته وقتما يشاء ، وانه ملزم بها فقط طالما هو مقيم معها .

الا أن «تشوتشوسان» الفتاة اليابانية التى قبلت الزواج من الضابط الأمريكى قد وقعت فى هواه ، وباتت تحلم بأنها ستمضى معه بقية حياتها فى زواج دائم سعيد . وقد بلغ من شدة تعلقها بالضابط أن نبذت دين أهلها ومعتقداتهم .

و«جورو» الآن يعرض على«بنكرتون» المنزل الذى سيقيم فيه مع الفتاة اليابانية التى اختارها له .

جورو : لقد أعددت كل شىء . وسوف يصل أقارب العروس بعد قليل .

وهنا يقبل « شاربلس » ـ قنصل أمريكا فى اليابان ـ فيخبره بنكرتون بأنه يستطيع الغاء عقد المنزل والزواج فى أية لحظة ! ولكن هذا الاستخفاف يصدم القنصل الأمريكى فيقول للضابط أن الفتاة ذهبت اليه بمقر القنصلية فى هذا الشأن ، وانه تأثر كثيرا من بساطتها واخلاصها وثقتها المطلقة فى جدية الزواج .

القنصل : ان حديثها كان ينم عن اخلاص عميق !

وعبثا يحاول أن يثنى الضابط عن اتمام الزواج .

وفى هذه اللحظة يظهر «جورو» وهو يلهث معلنا وصول العروس « تشوتشوسان » (مدام بترفلاى) وصديقاتها .

فيختبىء القنصل والضابط ليرقبا وصولها . وتتقدم الفتاة اليابانية وهى تغنى فى نشوة :

«اننى أسعد فتاة فى اليابان ، بل فى العالم بأسره ..»

وهنا يظهر الرجلان فيسألانها عن نفسها وحياتها. فتجيب فى صراحة متناهية :

بترفلاى : كان أهلى فيما مضى من الأثرياء . ولكن والدى توفى وأصبحت والدتى فى فقر مدقع ذليل . فاضطررت الى كسب قوتى من الرقص والغناء . وليس عندى سوى عم واحد وهو من رجال الدين ..

ويقبل مسجل العقود وأقارب بترفلاى فتقدمهم للقنصل والضابط . ويهمس القنصل للضابط محذرا :

ـ ان الفتاة تثق فيك ، فكن على حذر !

ولا تكاد مراسيم الزواج تتم حتى يقطع الاحتفال صوت رجل متقدم فى السن يصيح فى ثورة حانقة .. انه الكاهن عم بترفلاى الذى جاء ليعنفها على فعلتها :

الكاهن : ماذا كنت تفعلين فى «الارسالية» الأمريكية ؟

ثم يعلن للمحتفلين صائحا :

ـ لقد تخلت عن دينها القويم ونبذتنا . ولذلك فاننا سننبذها جميعا !

ويغادر الكاهن المكان ، فيمضى من ورائه جورو والأقارب والأصدقاء والقنصل ، ولا يتبقى فى المنزل سوى الضابط وعروسه بترفلاى .

ويجلس العروسان يرميان ببصرهما الى الشمس الغاربة التى أوشكت أن تختفى وراء الأفق . ويهيج منظر الغروب مشاعر بترفلاى فتبوح لزوجها بحبها الدفين .

وهنا تعزف الموسيقى لحنا صارخا يذكرها بلعنة عمها الكاهن فيتملكها الخوف وتفضى الى زوجها بمكنون قلبها .

واذ يحاول الزوج أن يستجيب لها تصرح له بأنها طالما ترددت فى الزواج من رجل أجنبى ، ثم تتوسل اليه أن يبادلها الحب وتسأله خائفة :

بترفلاى : يقولون ان الرجل فى بلادكم اذا صاد فراشة (بترفلاى) فانه يقتلها بابرة !

ومرة أخرى تعزف الموسيقى اللحن الصاخب فيذكرها بلعنة عمها الكاهن فترتعد من الخوف . ويحاول بنكرتون أن يهدىء من روعها ثم ينخرط معها فى غناء هادىء نشوان :

« الليل يحيط بنا
والعالم كله يتأهب للرقاد ... »

الفصل الثانى

المنظر ـ داخل منزل مدام بترفلاى

انقضت ثلاث سنوات منذ أن غادر بنكرتون اليابان وانقطعت أخباره عن زوجته اليابانية . ومع ذلك فان مدام بترفلاى لا تزال تثق فيه وتعتقد أنه سيعود لها مرة أخرى . واذ تحاول خادمتها المخلصة «سوزوكى» اقناعها بأن لا فائدة من انتظار الزوج الذى لن يعود ، تشرع بترفلاى فى غناء هائم مشجى ، وتحلم باليوم المجهول الذى قد يعود لها فيه زوجها الغائب :

« ذات يوم رائع بهيج
سنلمح وراء الأفق
سفينة بعيدة مقبلة
يتصاعد دخانها عاليا فى السماء .. »

ولا تكاد تفرغ من الغناء حتى يدخل القنصل «شاربلس» ومعه السمسار «جورو» . وتبتهج بترفلاى عندما تعلم أن القنصل يحمل رسالة من زوجها . ولكنها لاتعلم أن الرسالة

تحوى نبأ زواج بنكرتون من زوجة أمريكية !

ولا يدرى القنصل كيف يصارحها بالحقيقة المؤلمة التى يعرف تماما أن فيها القضاء عليها . أما جورو فيعرض عليها الزواج من نبيل يابانى يدعى «يامادورى» أحضره معه لذلك الغرض . واذ يطلب النبيل يدها ترده الزوجة الحزينة خائبا:

بترفلاى : ان يدى تخص شخصا آخر !

جورو : ولكن هجر الزوجة معناه الطلاق

بترفلاى : قد يكون ذلك صحيحا فى اليابان . ولكننى أمريكية !..

وأخيرا تنهض غاضبة وتطرد السمسار والنبيل اليابانى ثم تستدير الى القنصل الأمريكى وتتوسل اليه أن يقرأ عليها الخطاب . لكن القنصل لا يجد الشجاعة الكافية ليفضى اليها بالخبر الأليم . فيقترح عليها أن تقبل الزواج من «يامادورى» . ولا تقوى بترفلاى على سماع هذا الاقتراح ، فتغادر الغرفة مسرعة ثم تعود وقد حملت على ذراعيها طفلا صغيرا .

القنصل : هل هذا ابنه ؟

بترفلاى : وهل رأيت من قبل يابانيا أزرق العينين ؟

ويدرك القنصل قسوة مواجهتها بالحقيقة فيستأذن فى الانصراف ، واعدا بأن يخبر بنكرتون بأنه أنجب منها طفلا .

وهنا تسمع طلقة مدفع قادمة من تجاه الميناء . فتخرج بترفلاى وخادمتها سوزوكى مسرعتين الى الشرفة . ولشدما تكون فرحتهما عندما تلمحان من بعيد سفينة بنكرتون ! وحالما تتعالى الموسيقى بلحن أغنية بترفلاى التى مطلعها :

« ذات يوم رائع بهيج
سنلمح وراء الأفق
سفينة بعيدة مقبلة
يتصاعد دخانها عاليا فى السماء ..»

وفى فورة من النشـــوة والانفعال تأمر بترفلاى خادمتهـــا بتزيين المنزل بالأزهار وتنشد مبتهجة :

« انثرى البنفسج هنا وهناك
واملئى بالورد كل مكان ... »

واذ تفرغ من الغناء تطلب من خادمتها قائلة :

ـ زينى لى وجهى بقليل من المســـاحيق ، واحضرى لى ثوب عرسى !

... وتغمر عتمة الليـــل السماء ، ويغلب النعاس الطفل الصغير والخادمة فينصرفان للنوم ، فى حين تبقى بترفلاى ساهرة تفكر وتنتظر .. دون أن تعلم الى متى يطول بها الانتظار !

الفصل الثالث

المنظر ـ نفس المنظر السابق

ترفع الستار عن الفصـــل الأخير ، فاذا بالغرفة غارقة فى نور الفجر ، واذا بمدام بترفلاى لا تبصر أمامها ســـوى نور الأمل .. فقد أتى النهار ولم يأت معه زوجها الغائب !

وتستيقظ «سوزوكى» فتتوسل الى سيدتها المتعبة أن تخلد الى الراحـــة . وتســـتجيب مدام بترفلاى الى طلب خادمتها وهى تقول :

ـ سأذهب لأنام كى يبدو وجهى جميلا عندما يعود !

ولا تكاد تخرج حتى يسمع قرع على البـــاب . وتسرع سوزوكى لتفتحه فترى أمامها القنصل ومعه بنكرتون ! ثم تلمح سيدة أجنبية فى الحديقة فتسألهما :

ـ من تكون تلك السيدة ؟ .

..لقد أحضر بنكرتون معه زوجته الأمريكية لتأخذ الطفل وتعنى به !

وتشرع الخادمة تحدث بنكرتون عن حب سيدتها له وثقتها

فيه وتفانيها فى الاخلاص له ، فتنتابه نوبة من الندم ووخز الضمير . وتغادر الخادمة الغرفة ، فيشرد بنكرتون مع ذكرياته ، وتمر أمامه صور ماضية مع بترفلاى فى شكل حلم رائع نشوان ، فيغمره الأسى ويغنى :

« وداعا أيها المنزل السعيد
وداعا يا مهد غرامى . . »

ولكنه لا يقوى طويلا على البقاء فى ذلك المنزل الذى تطارده فيه صور الماضى ، فيغادره فى يأس موجع مرير .

وبعد قليل تدخل «كيت بنكرتون» ـ زوجته الأمريكية ـ ومعها الخادمة سوزوكى .

كيت بنكرتون : هل لك أن تخبريها بأن تثق بى فى العناية بالطفل ؟

سوزوكى : نعم !

وهنا يسمع نداء بترفلاى . وعبثا يحاول الجميع صرفها عن الدخول . فحالما تظهر أمامهم لتواجه لأول مرة الزوجة الأمريكية !

بترفلاى : من عساها تكون تلك السيدة ؟

ويترفق بها القنصل والخادمة ويخبرانها بأنها زوجة بنكرتون وبأنها جاءت لتعنى بالطفل . وتتمالك بترفلاى شعورها فتهنىء الزوجة الأمريكية بزواجها ، وتخبرها بأن الطفل سيكون معدا بعد نصف ساعة ، ثم تقول لها :

ـ سأعطى بنكرتون طفله اذا ما جاء ليأخذه بنفسه !

وينصرف الجميع ، فتبقى بترفلاى غارقة فى حزن غامر أليم . وبعد برهة يفتح الباب وتدخل منه الخادمة وقد حملت الطفل الصغير . فتقترب منه بترفلاى وتغنى له أغنية حزينة يتساقط منها الأسى . . انها أغنية الوداع :

« ابنى العزيز
يا من منحتنى اياك السماء
من جنتها الخالدة .. »

ثم تغطى الطفل فى حنان زائد بوشاح أبيض رقيق، وتتوارى خلف ستار النافذة .

ويعود بنكرتون وزوجته والقنصل فى الموعد المحدد لاستلام الطفل ، فيجدون مدام بترفلاى جثة هامدة على الأرض وبجوارها خنجر نقش عليه : « اذا لم تستطع أن تعيش كريما ، فمت كريما » !

ستار

« تم الكتاب »

تقدم كتابها التالى :

الأوبرات العالمية

(٢)

شمشون ودليلة — ريجوليتو — دون جيوفانى — الهولندى الطائر — الكترا — لوز — زواج فيجارو — بارسيفال — لوهنجرين — سيجفريد — قصص هوفمان — نورما — اليهودية — كافاليرا روستيكانا .

« الكتاب الذى تكتمل به ثقافتك الأدبية والفنية »

تقدم قريبا

الثائرون فى العالم

لينين : زعيم الثورة الروسية

سون يات سن : قائد الثورة الصينية

كمال أتاتورك : بطل الانقلاب التركى

غاندى : زعيم الهند

غاريبالدى : بطل التحرير الإيطالى

ديفاليرا : محرر إيرلنده

جورج وشنطن : بطل التحرير الأمريكى

سيمون بوليفار محرر فنزويلا

« المرجع الخالد الذى تفخر باقتنائه »

دار الكتاب العربي

I 14885384
B 13107677

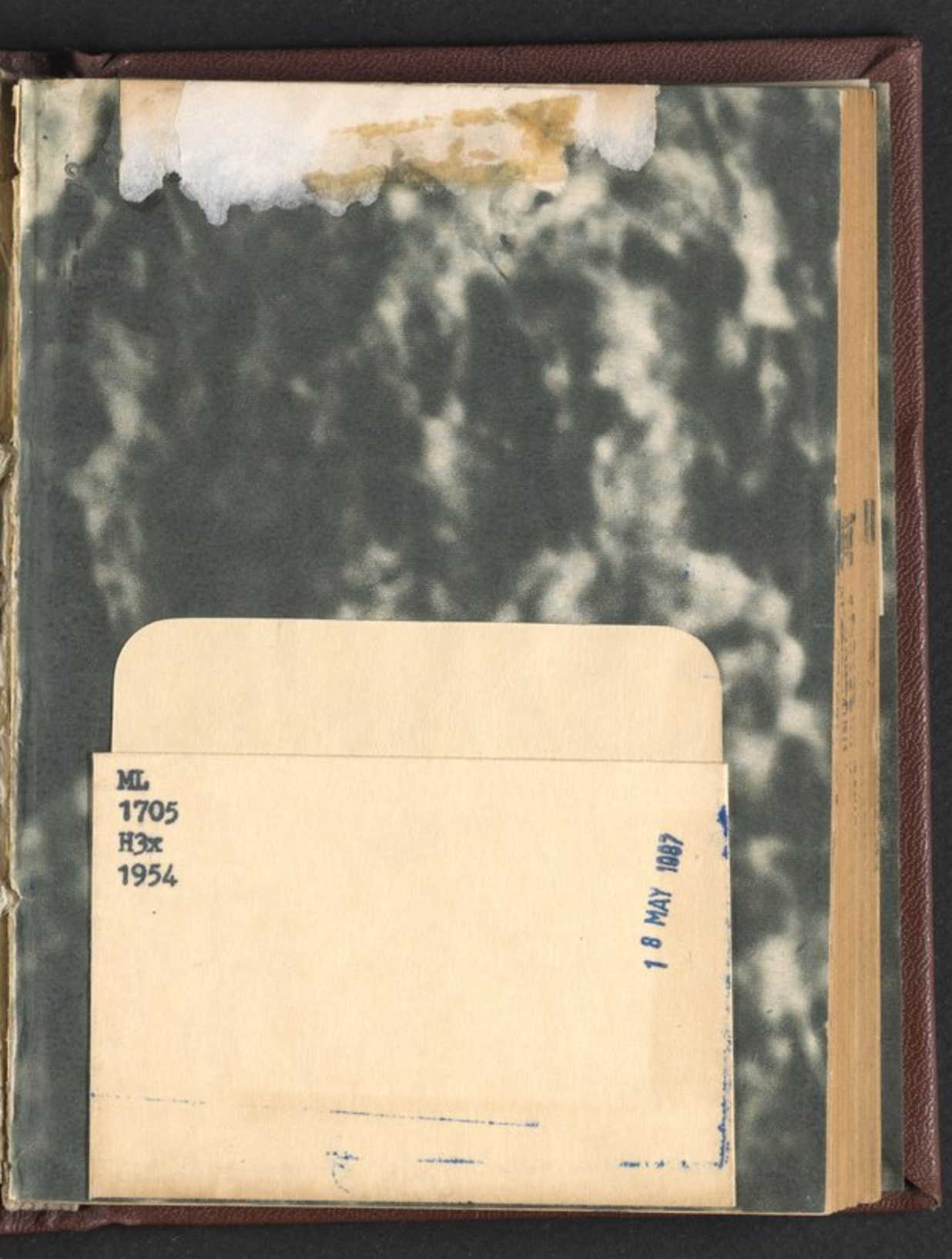

ML
1705
H3x
1954

18 MAY 1987

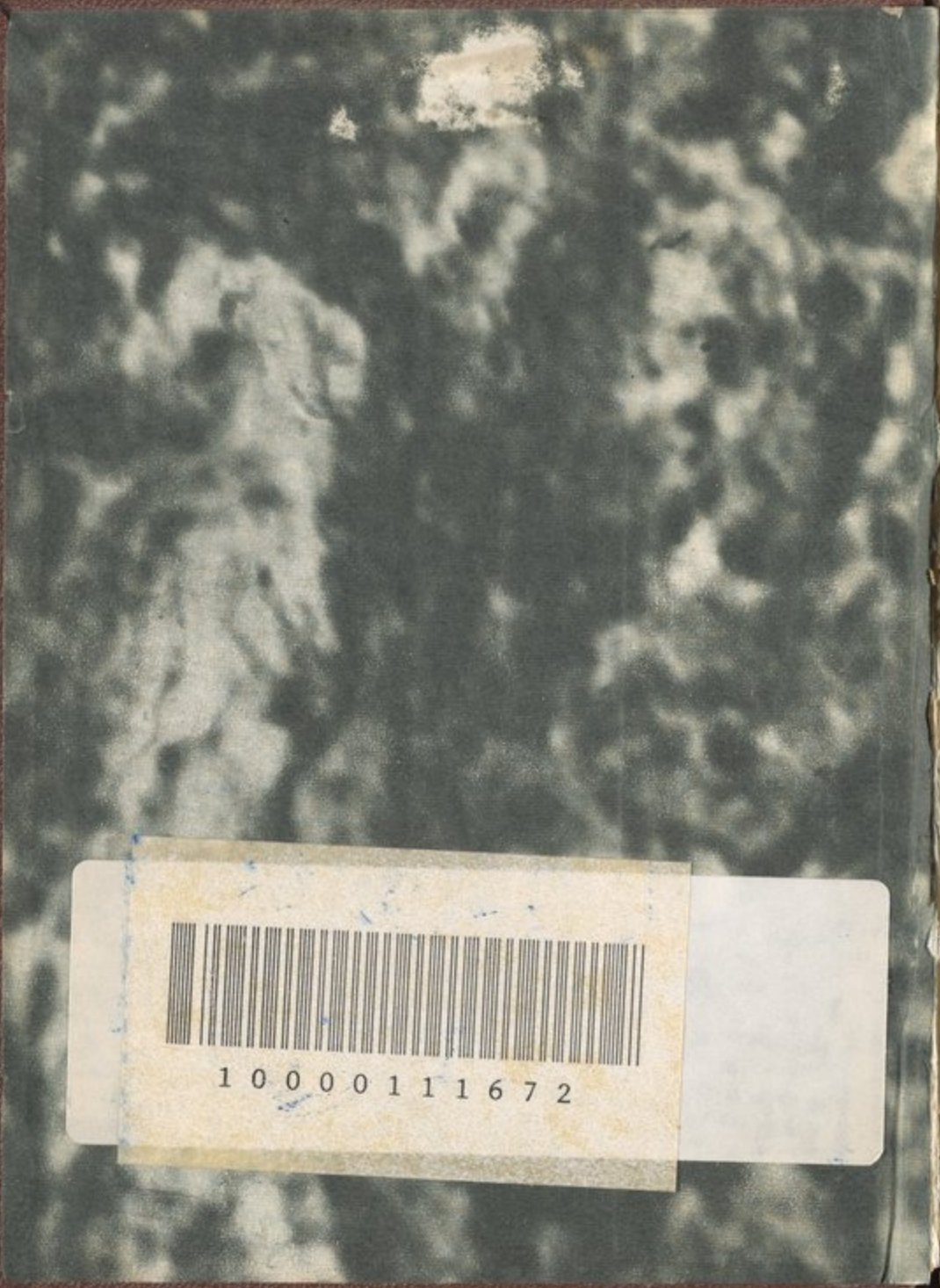

100001116 72